

حكاية

ريح البحر

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

قصص حكايات

الفوارس

١٦

جمال شاهين

٢٠١٠

حكاية

ريح البحر

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

قصص وحكايات الفوارس

جمال شاهين

حكاية ريح البحر


حكاية
البحر

كشف السر

جرت أحداث مهمة قبل أن نبدأ في قص هذه الحكاية حكاية ريح البحر ، وسيأتي بيانها خلال الصفحات المقبلة ، ولكني أبدأ القصة عندما بلغ الأمير خالد أحد أبطال هذه القصة خمسة عشر ربيعا ، وأحس أنه أصبح رجلا يستطيع التدخل في تقرير مصيره واختياراته ، والسبب أنه في هذه السنة قد سمع بعض أحداث قصة أمه ، عرف أن أمه الأميرة طردت طردا من مدينة '' الماعز السمرة '' قبل عشر سنوات ، يوم كان طفلا صغيرا ذا خمس سنوات ، لقد كان يظن أن والده هلك في حرب من الحروب التي نشبت بين مدينتين ، وأن خاله الملك يقوم على رعايته عرفانا بمقتل أبيه من أجل بلادهم وديارهم ، هكذا كان يعتقد ، وهكذا كانت أمه تظهر ، أما أن والده حي وأمير كبير من أمراء الماعز السمرة فهذا لم يطلع عليه إلا من وقت حديث ، وقد ضاق ذرعا من فعل أمه ، ولامها في نفسه لإخفاء هذه الحقيقة .

قد استغرب من تصرف القوم ، وود لو ينصرف من الصيد قافلا لمدينة أمه 'القمحة' ليعرف صدق الحقيقة التي قيلت له همسا ، وهو يُسائل نفسه : لماذا أخبرني ذاك الرجل بهذا السر ؟!

كان الأمير الشاب مع بعض أقاربه وأولاد أخواله في رحلة صيد معتادة في وادي الصيد القريب من مدينتهم ، وعند عين ماء التقوا برجال من مدينة الماعز يتصيدون في نفس الوادي ، فهو قريب بين المدينتين يبعد عن كل مدينة مسيرة ثلاث ليال .. ولما عرف الرجل الكهل أنهم من أمراء مدينة القمحة ، وعرف أن خالدا ابن الأميرة صيد تذكر حكايتها التي دارت في بلاد الماعز وسمع الأمير ينسب لرجل من بلاد القمحة.. فأخبره أن أباه حي ومن بلاد الماعز فقال له همسا: أمك الأميرة كانت متزوجة في أرضنا ومدينتنا يا خالد ، وأبوك هو الأمير رضوان من أمرائنا .

فقال خالد مستغربا: لم أسمع بذلك أيها الرجل !.. أنا والدي مات في الحرب !

فابتعدا عن القوم وجلسا على تلة بحيث يراهم رجال المدينتين فقال الرجل الكهل : أين أعمامك في مدينتكم ؟ أين جدك لأبيك ؟ أين أقارب أبيك ؟ ألم تسأل نفسك مثل هذه السؤال؟ أكلهم ميتون ؟! أنت تشبه أباك رضوان فإذا قدرت لك رؤيته سترى أنك شبيهه.. وسوف أخبره بأنك

أصبحت شابا فارسا ليطلبك.. تحقق أيها الفارس مما قلته لك من أمك ولسوف تقر بها قلته .. هيا بنا نلحق بالقوم فهم يشيرون إلينا. عاد خالد ملبيا نداء رجال قومه وهو غارق الفكر بما سمع من كلام الرجل الكهل ، ولما وصل خيمة أمير الحملة وهو أحد أبناء أخواله قال ورآه مغضبا : يا خالد لماذا تجلس مع هؤلاء الأغراب ؟!

صمت خالد ولم يرد فهو مشغول الذهن بما أخبر .. ولما لم يرد أشار له الأمير بالجلوس مع أبناء عشيرته وفرسانهم ، وبعد حين يسير انصرف رجال مدينة الماعز وتركوا المكان لرجال مدينة القمحة وقد سقوا دوابهم وملئوا قربهم ، ولزم خالد الوجوم والصمت منذ سمع كلام رجل مدينة الماعز حتى قفلت الفرقة عائدة للبلاد ، فقد صدم بما علم من حياة أبيه ، ومن بعد أمه عن أبيه، هو كان يعتقد أن أمه أرملة .. لذلك كان يهمس لنفسه وهم يطاردون الصيد " أين أعمامي فعلا ؟! أين جدي لأبي ؟! أين أبناء عمومتي ؟.. لماذا لم أفكر بهذه الأسئلة ؟! لقد فهمت واستوعبت أن أبي غريب وحيد.. عاش في مدينتنا.. ليس له أهل هنا .. وأنه مات بعد زواجه من أمي .. وتركني أنا وأخي يزيد وأخي زيادا في رعاية جدنا ثم خالنا الملك .

وكان يتسأل الفتى : ما دام والدي حيا لماذا نحن عند أخوالنا ؟! لماذا تخلى عنا أبونا رضوان ..؟ هل صدق الرجل فيما أخبر؟! .. أبي اسمه رضوان وأنا شبيهه.. هل هذا الرجل صادق ؟! .. منذ وعيت وأنا أعتقد أني ابن قتيل المعارك .. وأني يتيم .

وأمضى الأمير خالد أيام الصيد وهو في شرود وغضب مكتوم من حاله ومما حدث ، وكان ينتظر بفروغ الصبر ساعة العودة ؛ ليعرف الحقيقة من أمه ويلومها على فعلها ، ويعرف أسباب كتمان هذا الأمر عنه.. ولماذا هي هنا وليست عن زوجها؟!هل أصابت شيئا قبيحا ؟ أمي طيبة عاقلة.. لعل الرجل مدسوس.. متى نصل لبلاد القمحة ؟ لماذا تخليت عن أمي يا أمير رضوان ؟!.. أبي حي يرزق ولا يهتم بنا ، ولا يسأل عنا ولا يكترث بنا.. خواطر سوداء ترتسم في الذهن.. لماذا يا أبي تركتنا كل هذا الزمن .. لماذا ؟!!

الأميرة صيد

أدركت الأم صيد أم خالد بحسها حزن ولدها البكر ، ولاحظت الهم الذي يكتنفه منذ التقيا، فقد كان من عادة الأمير إذا رجع من الصيد أن يدخل عليها فرحا جذلا ويحتضنها معانقا ، ويأخذ بالحديث عن تفاصيل تلك الرحلة والمغامرة ، وعن الحيوان التي تمكنوا من صيدها ، فتسعد بها تسمع ويغمر قلبها الحبور، وقد لاحظت عليه هذه المرة اختلاس النظر إليها بطريقة مريبة لم تعتادها منه، قالت لنفسها : حدث شيء للولد !

فلما عاد من الحمام ، وجلسوا على مائدة الطعام لزم الفتى الصمت على غير العادة أيضا ، فلما رفعت المائدة ، وأراد الفتى المغادرة قالت له أمه : اجلس يا خالد .

فعاد الفتى إلى مكانه وأشارت لولديها الآخرين بالانصراف وقالت: ما بك يا خالد ؟ أراك كئيبا هل ضايقك أحد من رجال الرحلة ؟ هل الأمير فواز أساء لك ؟!

نظر في وجهها لحظات ثم غض بصره وقال : إني في حيرة يا أمي !

صاحت بارتباك وخوف : حيرة !! ما الذي يؤلمك ويحيرك ؟!

ـ أتحبينني يا أمي ؟

بهتت الأم لهذا السؤال، وهل تسأل الأم عن حبها لولدها ، فهو حب فطري فقالت : ويك .. أتشك بحبي لكم؟!هذا والذي نعبده بحق سؤالك عجيب !.. أنتم قرة عيني وأنتم حياتي .. سؤالك خطير يا بني !

توقف لحظات عن الرد ثم قال: أمي أنا أحبك .. أحبك كثيرا .. وقلبي مليء بحبك ولكن.. أين أبي ؟ أأبي ميت ؟!

وجمت الأم وزادت دهشتها وبدت حيرتها ، وأدركت أن وراء الأكمة ما وراءها وقالت مرددة : أين أبي ؟!

ـ نعم ، أحي أبي ؟

ـ حدثني بكل ما حدث لك في صيدك .. لعلي أجيبك عن سؤلك .

ـ أخبريني قبل أن أخبرك بما علمت أثناء الصيد .. هل أبي حي يرزق ؟!

ـ حسنا، أبوك على حسب علمي حي .

ـ حسب علمك .

ـ أنا لم أقل لك يوما ما أن أباك هالك.. وإنما شاع ذلك في بلادنا.. للعداوة التي بين قوم أبيك وقومنا.. فاعتبروه ميتا.. ولزمت السكوت لأنكم تعيشون في كنف أخوالكم وبغير أب..

ـ ولماذا نحن بدون أب ؟!

نهضت الأم قائمة تتمشى في الحجرة ، ثم نظرت لولدها قائلة : حدثني بما جرى معك بالصيد وبمن فتح معك هذا الحديث عن أبيك ؟.. حتى أروي قصتي مع والدك كاملة.. منذ عدت وأنت على غير عادتك ..كنت كلما عدت من صيد تقبل علي مخبرا لي بكل شيء يا خالد ! أأحد من قومنا أساء لك ؟

ـ لا .

تنهدت بفرح ظاهر ، ثم قالت : الحمد لله رب العالمين .

ـ التقيت بقوم من أهل أبي كما أدركت اليوم ..سارّني رجل من بلاد الماعز السمرة بحديث.. لما علم أننا من بلاد القمحة وأخبرني بأنني أشبه أبي الأمير رضوان.. ولابد أن أكون ابنه من الأميرة صيد .

ـ نعم ، لا أحد يقول غير هذا ، أبوك الأمير رضوان من أبطال وفرسان تلك الديار .. لكنهم طردونا طرد الكلاب الضالة.. فغضب جدك الملك أبي منهم غضبا شديدا ومن أبيك رضوان لرميهم لنا رمي الجيف .. عندما جئنا من بلاد الماعز كنت ابن خمس سنوات ، ويزيد يصغرك بعامين وزياد كان رضيعا على صدري بعد.. وبما أنك ترى من نفسك أنك رجل فاسمع حكاية أمك. قال: أرجو ألا يؤلمك الحديث .

ـ سيؤلمني؛ ولكن لابد لك من سماعه حتى لا تسيء إلى أمك وتظن بها الظنون.

ـ لا يمكن ذلك يا أماه ! ـ وسواس الشيطان أقوى منك .

زواج صيد

كان جدك والد أبيك الملك شامخ العسلاني ملك بلاد الماعز في ضيافة الملك نادر ملك بلاد الرمان في حفل زواج لأحد أبنائه ، وكان أبي الملك مدعوا أيضا ، فأبي صديق للملك نادر، وفي مثل هذه الأفراح يذهب وفد كبير من الرجال والنساء لمشاهدة العرس الملكي ، وصحبت أمي في هذه الرحلة وأنا ابنة ثلاث عشرة سنة يا ولدي.. جلسنا مع كثير من الحريم والنساء ضيوف الملك نادر.. وللقدر المقدر كانت في الحفل بعض زوجات الملك شامخ وتعرفنا علينا وبعد انتهاء الحفل بأيام حضر وفد من بلاد أبيك خاطبا لي من أبي الملك ، وحدثوا عن إعجاب إحدى نساء شامخ بجمالي وحسني عندما رأتني في عرس ابن الملك نادر .. مع أن تلك الجدة لك لم تحدث أمي عن زواج ومصاهرة .. ربما لم تفعل لتشاور بعلها الملك ..المهم أن أبي الملك رحب بذلك وأثنى على جدك شامخ الثناء الحسن أمام الوفد ، ووافق على اقتراني بالأمير رضوان .. ثم زارنا الأمير رضوان.. وبعد سنة من المراسلات والزيارات عقد الزواج وأصبحت زوجة للأمير رضوان ، ورحلت لبلاد الماعز.. وسكنت في قصر جدك شامخ مع زوجات الملك وزوجات أبنائه الأخريات.. وكنت سعيدة بأبيك الأمير.. وفرحنا معا بمولدك ، وسعد جدك الملك بولادتك وسماك خالدا آملا بطول العمر لك.. ولكن مكر القصور وحكايات النساء كثيرة لا تنتهي .. وأنا كنت في وسطهن غريبة، ليست من بلاد الماعز، لا رجال حولي من قومي ولا نساء أثق بهن وأتناجى معهنّ.. فاخترت العزلة قدر الإمكان.. وولد أخوك يزيد بفضل الله تعالى .. وبدأ وضعي يسوء في القصر، وأتهم بالكبر والدس والاستحواذ على أبيك، وامنعه من معاشرة رجال قومه.. وما كان لي صبر على الخلافات والمنازعات، فرجوت أباك أن يسكنني في قصر خاص به.. وكان لأبيك ولسائر أعمامك قصورهم الخاصة ؛ ولكن كان من سياسة جدك أن لا تسكن امرأة من نساء أبنائه إلا في قصره الكبير.. فإذا لم يرتح لها يطردها وزوجها إلى القصر الخاص بالأمير وتصبح منبوذة ومكروهة.. كان جدك يقدر أبي .. وكان يحب بقاءنا حوله ؛ ولكن لما أخبره أبوك برغبتي تلك أذن لنا بالرحيل لقصر الأمير رضوان.. فزاد عداء نساء الملك

لي بدل أن ينقص ويزول.. فحاولت بعض زوجات الأبناء تقليدنا وأن يفعلوا مثلنا ، فضاق قلب جدك وأظهر غضبه.. وظل القيل والقال عني .. وكان أبوك أحيانا كثيرة يغيب عن القصر في الصيد أو الزيارات أو المعارك التي يشنها جدك..

وصمت برهة أخذت فيها نفسا عميقا ومسحت دموعا سالت على وجنتيها وقالت : ولما ولد شقيقك زياد ..اتهموني بالفاحشة والزنا مع أحد حراس القصر.. أرأيت قسوة نساء جدك ونساء أعمامك ؟! .. وانتشر وشاع الخبر كالنار في الهشيم.. وأصبح الخبر كحقيقة ويقين.. فصعقت لهذا الاتهام الشنيع وزاد سقمي ومرضت.. وأبوك لم يسندني وخذلني ، وصدق الشائعات والدسائس التي أثيرت حولي ، ولم يدافع عن شرفه وشرفي.. وكان مصيري الطرد والإهانة.. ولكن أباك أرسلني لأهلي ومعي بعض فرسانه.. وكان أبي على قيد الحياة ، فأخبرته بحكايتي وبراءتي، وبما يشنع عليّ ، والظلم الذي وقع عليّ.. وكادت تنشب بين المدينتين حربا ولكني ترجيت والدي بأن يدع الثأر والانتقام لله سبحانه، ولا أحب أن تهرق قطرة دم من أجلي لأنهم سيبقون أباء أولادي.. فغير أبي اسم أبيكم وأشاع أن أباكم قد مات في إحدى المعارك في بلاده .. فيظن من يسمع ذلك ويعرف الأمير رضوان أنني ترملت وعدت للحياة في كنف أبي عليه الرحمات.. ورفضت الزواج من رجل آخر ، ونذرت نفسي لكم وللعناية بكم.. ومضت الأيام على ذلك يا بني .. وأنا أقسمت الأيمان المغلظة لأبي أنني شريفة وما كشف ستري إلا لزوجي الأمير.. أبوك.. وإنني طاهرة .. وبعد سنتين أرسلوا وفدا لردي إليهم ، فرفض أبي أشد الرفض ، وطرد الوسطاء ولا كرامة .. هذه قصة أمك يا أمير خالد.. أمك طاهرة عفيفة .. ولم يكن من المناسب مكاشفتك بهذه الأسرار وأنت صغير ، وأن أحدثك عن عشيرتك التي طردتكم معي ..هم طبعا لم يشكوا في مولدك ومولد يزيد، إنهم فقط يشكون بأني أنجبت زيادا وحده من الزنا.. وراجت هذه التهمة لأنه الوحيد الذي لم يلد في قصر جدتك .. وأبوك جاراهم في هذا الاتهام مسايرة لأمه وخوفا من والده الذي لزم الصمت في هذه القضية .. حتى لا يفسح المجال لخروج نساء أبنائه الباقيات من قصره الكبير وسكت أبوك كذلك طمعا بالملك من بعد

موت أبيه شامخ عسى أن يختاره دون إخوته وريثا.. فسكت ورضخ للاتهام ..وصدق أمه بتهمتها لي .. ولم يدافع عن شرفي وعرضي.. واعلم يا ولدي أن جدك أبي رعاك حق الرعاية ، وأوصى خالك الملك عدنان بكم خيرا .



خلوة الملك

خلا الملك عدنان ملك بلاد القمحة بابن أخته خالد بعدما روت له شقيقته صيد ما حدث لبكرها في واد الصيد ، فقال له: مالك مغضب أمك يا خالد ؟!.. وقد روت لك قصة زواجها من أبيك الأمير رضوان ابن الملك شامخ .. وقد روت لك قصة اتهام قوم أبيك لها بالفاحشة والخيانة.. وهي ابنة الأشراف والأطهار، ولم يعرف هذا الفحش فينا.. هل سمعت بأن أحدا من أخوالك غرر بفتاة وزنى بها ؟.. قد حفظنا الله من ذلك .. وأمك العفيفة رفضت الزواج مرة أخرى من أجلكم.. ولما مات أبي الملك وجعلت ملكا للبلاد مكانه قلت لأمك الطاهرة " إن الوالد قد مات إلى رحمة الله الواسعة لماذا لا تنكحين أحد الفرسان والأمراء؟.. فما زلت فتية تحسنين التبعل؟.. فقالت لي أنا ووعته أذناي " إنها لن تتزوج حتى ولو مات الأمير رضوان .. أنا نذرت نفسي للعناية بأولادي حتى يكبروا ويتزوجوا " واحترمنا قرارها واختيارها وصبرها.. ونشأتم في بلادنا كأبنائنا وتحت رعايتنا وحمايتنا.. وجئت أنت بلادنا وعمرك خمس سنوات .. ولم يحدث أن جرح أحد منا مشاعركم بكلمة.. أما عشيرة أبيك فقد طردوا أمك طردا طرد الكلاب الضالة.. مرة واحدة فكروا بكم .. بعد سنوات من طرد الأميرة صيد .. أرسلوا بطلبكم أنت ويزيد فقط .. أما زياد فلم يذكروه ، فهم ينكرونه ولا يعترفون بأنه ابنهم أتعي ما أقول يا ابن الأجواد؟!..أبوك الأمير منذ طرد أمكم لم يأت إلى هنا مرة واحدة بحجة رؤيتكم .. وهذا لا يضيرنا ولا يهمنا مجيئه .. لا تغضب أمك.. وتعظم الأمر بأننا أخفينا عنك حقيقة أهلك.. فها هم أهلك ليبعثوا إليك وليأخذوك إذا أحسست أنك مهضوم الجناح .. نحن من واجبنا أن نرعاكم ونحسن تربيتكم ..تكلم لمَ أنت متضايق من أمك الضعيفة المظلومة أتشك بأن أمك بغت كما أشاع قومك بأحد حرس أبيك؟.. يا ولدي لو شككنا بشيء مما تقوّلوه أتظن أن جدك أبقى أمك على قيد الحياة ؟..لسفكنا دمها جميعنا.

ـ يا مولاي الملك! ..كان يجب أن تخبرني من زمن بابن من نحن ؟.. لا أن تظل صامتة.. أن نظل معتقدين أننا أيتام ولا عشيرة لنا ولا قوم لنا .. أبونا حي يرزق ولا نعرف هذا .. هذا أمر

قاسٍ يثير الشجن .

ـ ها نحن أخبرناك.. ما عساك فاعل؟.. أتريد أن تذهب إلى أبيك؟ .. اكتب له ليأتِ لأخذك.. وإذا أحببت أن نرسلك إلى هناك فحيهلا يا بني.. نحن لا نطلب منك ألا تسعى لأبيك ..فأنت ستبقى ابن قومك وقبيلتك.. ولكن قدرك أن تربى هنا في قوم أمك .. وأمك ستبقى أختنا وشرفنا وكرامتنا .. نحن ما كتمنا الأمر عنكم لغاية في نفوسنا ..لا نريد من عشيرة أبيك شيئا أنتم أطفال ، وليس من الكياسة اطلاعكم على أمر نحن تناسيناه ..فلما جاء وقته حدثناك به ..لا تغضب أمك ، ولا تنس فضلها عليك .. واحذر أن تشك بشرفها وعفتها .. وأن قومك تخلو عنكم لشك في أبوتهم لكم .. فأنت لا تسيء لأمك وحدها بل تسيء لنا كلنا ..لا مانع عندنا من عودتك لبني قومك بلاد الماعز .. اذهب وتعرف على أبيك.. الذي لم يهتم بكم يوما بعد طردكم جميعا .. وصدق أن زوجته الشريفة أم أولاده تخونه في رجل حقير .. جندي يقف على باب القصر .. ليس بطلا ومغوارا لتهفو إليه أفئدة النساء .. بل قتلوه غيلة بعدئذ.. ليجعلوا من الأمر حقيقة .. وإنهم غاروا على عرضهم .. نحن موقنون من براءة أمكم اليقين كله .. ويا بني هذه البلاد بلادكم .. ومفتوحة لكم أبد الدهر .. وإن شئتم أن تسيروا لمسقط رأسكم فافعلوا وسيروا.. لا تتضايق من كلامي ربما الجارح القاسي .. ونحن لا نتمنن عليك وعلى إخوتك .. فأنت من لحمنا ودمنا ..فالخيار لك .. أرجو ألا تتمادى في غضبك وأفكارك .. ونحن ما أشعنا موت أبيك إلا صونا لشرفكم وشرف أمكم وحتى لا تلوك الألسن سمعة أمكم وإخوانك .

عاد خالد يقول : كان يجب أن أعلم من أمي قبل أن أعلم من الأغيار .

ـ ها أنت علمت ، وها هم أتوك لواد الصيد ليطلعوك على هذه الحقيقة .. على هذا السر.. وما هو بسر أصلا.. كل من يعرف أمك يعرف القصة .. ويعرف قدر تضحية أمكم من أجلكم .. فهي لم ترمكم .. لم تتخل عنكم .

ـ يا مولاي! عشنا على أن أبانا هلك في الحرب .. هذا مؤلم ! وهو لا يبعد عنا سوى مسيرة سبع ليال ..

ـ لك هنا عشر سنوات يا ولد.. هو لم يهتم بك صغيرا .. أتراه يهمه أمرك اليوم؟ .. سر وزر قومك وعد وأخبرني بما تجد .

ـ سأفعل يا مولاي! إن شاء الله.. ولابد لي أن افعل .

ـ افعل ما يربو لك ؛ لكن لا تغضب أمك ، وتضايقها بالقيل والاتهام ..هذا غير لائق منك يا ولدي .



صديق خالد

كان لخالد صديق من سنه وجيله، شاب يتيم تعرف عليه في حصن التدريب ، حصن التدريب هو مدرسة يتدرب فيها أبناء الفرسان والأمراء على الفروسية ، ويتعلمون فيها أيضا تربية الخيول وصناعة أدوات الحرب ، ومن احترف الصناعة إذا شب يلحق بمصانع الصناعة كصناعة السيوف والسهام والرماح ، ومن أتقن الفروسية لحق بفرسان الملك وجيش البلاد ، ولما نضج الأمير خالد ونال قسطا من القراءة والكتابة انتقل لحصن التدريب كأغلب أبناء الأمراء والفرسان ، وبعض الأمراء يعقدون عقدا مع أحد المدربين فيقوم على تدريب أبنائهم داخل قصورهم

وكان الشاب الذي تعرف عليه خالد في حصن التدريب من أقرانه ، وهو ظاهر وبارز بشجاعته وتقدمه على أبناء جيله ، فرافقه خالد واتخذه صديقا واسمه غاضب ويلقبونه بريح البحر .

وأكثر فتيان حصن التدريب من أبناء الأمراء والفرسان ونبلاء البلد ، أما أبناء العامة فقليل من يسمح لهم بالتدرب داخل حصن التدريب ، لأن الأمراء والفرسان هم حماة البلد ، فأبناء التجار والزراع والرعاة يبتعدون عن الفروسية، فهم يتوارثون مهن آبائهم .

وريح البحر هو لقب الفتى " غاضب " وهو لم يكن من أبناء الأمراء ولا الفرسان ؛ ولكن كان والده غالب ـ وهو ابن فلاح ـ بصحبة أحد الفرسان الكبار في مهمة خاصة للملك والد الملك عدنان الملك براق ، وقتل الفارس ومرافقه غالب .. وكان الرجل غالب متزوجا حديثا قبل مقتله بسنة، ولم يولد له سوى غاضب ، فقام الملك جد خالد الملك البراق برعاية اليتيم وأمه ، وبعد نكاح أم الفتى وزواجها ثانية ، وقد شب الغلام أيضا وبلغ العاشرة ألحقه الملك البراق بمدرسة التدريب أو حصن التدريب كرامة لمقتله في مهمة ملكية ، واستجاب الشاب الصغير للتدريب واستهوته الفروسية ، فبرع فيها ومن أولى سنواتها ظهر وبرز على أقرانه بشجاعته وقوته وفطنته .. واستقرت حياته في الحصن تدريبا وخدمة .. وانقطع عن أمه التي انشغلت بزوجها الجديد وأولادها منه .

فكان من رفاقه في الحصن الأميران خالد ويزيد ثم تعرف على الأمير زياد ، وسمحت لهم صيد بمصاحبته والتعلق به ، لذلك كان تسمح له بالمجيء معهم إلى القصر الخاص بها وترحب به كأنه شقيق لأولادها وخاصة لما علمت أن أباه هلك بمهمة خاصة لوالدها البراق .

وكان ريح البحر كما كان يحب أن ينادى محبا للأميرة ولأولادها .. وشاكرا لعطفها عليه وسكوتها عن صحبته لأبنائها ، وهو ابن الفلاح ، وما هو بابن فارس ولا ابن أمير فكان يرى ذلك أمرا عظيما وكبيرا .

وكان الأمير خالد دون إخوته الآخرين قد اتخذه صديقا عزيزا ومحبا لصحبته ومعجبا بقوته وفروسيته ، وقد اعتبره أخا رابعا له ، وكان يعاشره على هذا الأساس وخاصة عندما لم يجد ضيقا وتبرما من أمه نحوه ، وكان ريح البحر يقدر له ذلك التلطف والإحسان، ويعتبر نفسه محظوظا بهذه الصحبة .

وكان لهم رفيق آخر، وهو من أبناء الفرسان ، وهو يشارك ريح البحر في اليتم اسمه هلال .. وقد هلك والده هو الآخر في مهمة ملكية .. وكان هؤلاء معروفين في حصن التدريب بالرفاق الثلاثة ..المدربون يعرفونهم بهذه الصفة .. دائما يأكلون معا .. يلعبون معا.. يتواجدون معا إلا في ساعات النوم .. فكثير من أبناء الأمراء والفرسان ينصرفون لبيوتهم في نهاية النهار.. وكان خالد ينام بعض الليالي في الحصن حبا بهم .. بل حاول مرات مصاحبتهم في رحلات الصيد مع أبناء أخواله .. ولكنهم كانوا يرفضون مثل هذه الصحبة .. فهم ليسوا من أبناء الأمراء .. ويعتبرونهم ما زالوا صغارا على رحلات القنص .

لذلك كان الأمير خالد يحلم يوما أن يصير قادرا على قيادة رحلة صيد ليصطحب رفيقيه إلى الصيد وخاصة الفارس الصغير غاضب بن غالب .

ومن حبه لهما كان يقاسمهم الهدايا التي تصل إليه من ثياب وطعام ، فلما عاد من الصيد في المرة الأخيرة وعرف أن أباه حي يرزق ، أطلع الشاب صاحبيه غاضبا وهلالا على قصة ذلك الرجل الذي التقى به في الصيد ونبأه خبر أبيه .. وتعجبوا لهذا الأمر.. وهم كانوا يعتقدون أن الأمير

يتيم مثلهم .. وصارحهم فيما بعد بلقائه بخاله الملك ، وقال لهم وهم يجلسون يستريحون تحت ظل شجرة عملاقة بعد أحد التمارين : أنا أحب أمي كثيرا.. ولا أسمح لخيالي أن يشك في عفتها وشرفها .. وهي التي عافت الرجال من أجلنا وصبرت على المحنة .. ورفضت التخلي عنا .. ولم تتزوج مرة أخرى من أجلنا.. ولكننا نبقى من أبناء بلاد الماعز .. وأنا أتعجب من تجاهل أبي نحونا.. ولم يسع لأخذنا حتى بعد أن كبرنا.. أو حتى التعرف علينا واللقاء بنا.. هذا ما يؤلمني ويحز في نفسي ..ألا يسعى أب للقاء أولاده ؟! لكني في شوق للتعرف عليه ورؤيته والحديث معه .

فقال ريح البحر : الأمر مؤلم يا صديقي الشجاع .. أبوك أمير في بلاده فليس من اليسير والهين أن يتنازل عن كبريائه للسفر إلى بلادنا بعدما صدق التهمة التي أحاطت بأمكم الشريفة العفيفة وأمك تعرضت لظلم قاس يا أمير خالد .

وقال هلال : أمك عظيمة يا خالد !.. ولولا عظمتها لأقامت الدنيا واشتعلت الحرب بين البلدين.. ولكنها صبرت حتى لا يكون بين البلدين دم ويؤثر ذلك عليكم ثم قبلت بالصمت وعدم الغضب من أجلكم .. والحق أن أباك أخطأ في حقها .. وفي حقكم .. وعندما حاولوا بعد حين أخذكم ظلوا مستمرين على الاتهام وأبوا أخذ زياد لتظل التهمة ثابتة على الأميرة .

فقال خالد بحدة : ولكنهم قومي وأهلي وأبي ..أنا راغب برؤية أبي .

فقال ريح البحر : هذا حق وحقك .. مهما أخطأ الأب فهو أب .. فمن حقك اللقاء به .. ولتسمع منه حجته في الصمت عن الدفاع عن أمك الأميرة .. لماذا لزم الصمت ؟!

ـ هذا ما أريد معرفته أيها الرفيقان ! .. أنا أعلم تقصيره الكبير نحونا وطردنا .. ولكن فكرت وفكرت فبدا لي أنه كان مصدقا للتهمة التي ألصقت بأمي .. عليّ أن أسمع منه أيها الرفيقان !

فسأل هلال : وهل يقبل الاجتماع بك إذا سعيت إليه اليوم ؟!

ـ بعد كل هذه السنوات لا يستطيع المرء الإجابة والتوقع .. ولكن إذا كان رجل وادي الصيد جاء قاصدا لقائي وتذكيري بأهلي وأن الأمر لم يكن صدفة .. فهم ساعون للّقاء بنا .

فقال ريح البحر فجأة ؛ كأن فكرة ضربت ذهنه : ما رأيك أيها الصديق بأن تكتب له رسالة تسأله اللقاء .

نظر خالد لحظات في عيني ريح وقال: فكرة !فكرة طيبة !.. وكيف ستصل الرسالة ؟!

فقال ريح بحماس وحب : أنا رسولك لأبيك ، وسيرافقني هلال إذا شاء ، وليبق الأمر سرا بيننا حتى نعود بالرد .. ولكن هل سيسمحون لنا بترك حصن التدريب ردحا من الزمن ؟

ـ لا أدري.. ولكني سأكتب خطابا لأبي .

فقال هلال: اكتب.. وسأرافق ريح البحر في هذه المهمة.. وعليك أن تدبر أمر خروجنا من مدرسة التدريب .

فنهض خالد قائما ، وفعل الاثنان نحوه ، وعانقهم وعيناه تذرفان الدمع وقال : إنهم قومي وعشيرتي .. وهذا جميل عظيم منكم نحوي!.. أرجو ألا أنساه في يوم من الأيام أيها الأصدقاء.



الرسالة

دفع الأمير خالد الرسالة للفارسين الشابين، ووضع بين أيديهما بعض قطع النقود ، واشتريا حمارا قويا وتسلحا بالخناجر، وتزودا ببعض الطعام ، وغادرا حصن التدريب دون علم أهله ، وكانت وجهتهما بلاد الماعز السمرة ، وفارقوا بلاد القمحة بدون أي اعتراض من أحد ، وكانت خطتهما السير على أطراف القرى التي تمتد بين مدينة القمحة والماعز.. وعندما يحتاجان الطعام يشتريانه من أهل القرى من الفلاحين والزراع ، وكانت طريقهم بعيدة عن طريق القوافل والطرق المطروقة .. وظلا يسيران حتى وصلا مدينة النور ، فهي تقع بين بلاد الماعز والقمحة من تلك الجهة التي يسيران فيها ، كانا يركبان الحمار سوية وأحيانا أحدهما ويمشي الآخر .

وكان نومهما في المغاير وأطراف الغابات ، ولما تزودوا ببعض الطعام من مدينة النور بعد أن قضوا يوما في المدينة يتعرفون على أهم أسواقها تابعوا المسير نحو مدينة الماعز، وبينما هما يجتازان أحد الأودية ، وكانت الشمس عند المغيب سمعا أنينا فهمس هلال : أسمعت ما أسمع يا غاضب ؟

ـ كأنني سمعت .

أوقفا الحمار وأصغيا آذانهما، فقال بحر: صوت أنين. وأشار إلى جهة قائلا : كأن الصوت آت من تلك الناحية .. عند تلك التلة التي عليها تلك الأشجار العالية .

ـ نمشي أم ...

ـ قد يكون الرجل بحاجة لمساعدة .

اتجها نحو التلة، فازداد سماعها للصوت كلما تقدما من التلة فقال هلال : كأن الرجل يموت!

صعدوا التلة وهم في قلق وتوتر.. ولما صارا فوقها همس ريح : إنه رجل مصاب

وكأن الرجل أحس بهما ، فرفع صوته صائحا من الألم.. فاقتربوا منه فكان رجلا شاحبا قد نزف الكثير من الدم فقال هلال: هل يمكننا أن نفعل من أجلك شيئا ؟

ـ إنني سأموت بل أحس أن روحي في صدري .

قال بحر : من أنت وما قصتك ؟!

فقال الجريح بصوت واهن : إنني أموت غدرا ، واسمي الرمح من بلاد الماعز .. كنت مسافرا في مهمة لسيدي الأمير بهاء ..

وضع أحد الشابين قطعة من القماش على جرح الرجل الغائر الذي قال : لا تفعل دعوني أموت لا يمكنكم الوصول بي إلى أهلي.. لقد طعنت بخنجر قد سحبته من صدري قبل مجيئكم.. أمعكم ماء ؟

ـ ها هي قربتك ؟

ـ قربوها إليّ .. ظننتهم قد أخذوها.. قاتلهم الله.. من القوم ؟

ـ نحن من بلاد القمحة ونحن في طريقنا لبلاد الماعز في أمر خاص .. هل نحملك إلى هناك ؟

ـ إني أحتضر أيها القوم ..لا أستطيع الركوب على حماركم هذا.. ولكن هل يمكنكم نقل رسالة ميت لأهله والأمير بهاء ؟

فقالا : نفعل أيها الرجل إن شاء الله .

ـ الحمد لله .. لقد أرسلكم الله لي في آخر ساعة لي من الدنيا .. لتصل وصيتي لأمي .. في قرية تابعة لمدينة الماعز اسمها قرية الفرس بلدة صغيرة شمال بلاد الماعز .. اسألوا عن عجوز اسمها سعدية أم الرمح فانعوني لها ولتغفر لي وأخبروها أن لي بعض المال عند أخيها سلمان فلتخذه وتنفقه على نفسها.. ولي مال آخر عند الأمير بهاء الذي أعمل عنده .. أنا أعمل في بساتينه وأرضه ..وأخبروا الأمير بمقتلي ، وأن الرسالة التي طلب مني توصيلها لم أستطع توصيلها وأن قتلي كان من رجال أخيه.. رجل اسمه فانوس أنا أعرفه جيدا رغم تنكره والسلام .

ثم شرب شربة ماء ولفظ أنفاسه مع آخر قطرة بلعها .

قام الفتيان بحفر حفرة له ، وقبل أن يدلوه فيها أقبل جواد نحوهم ، فأدركوا أنه فرس الرجل لأنهم وجدوا عليه طعامه ، فبدا لهم أنه هرب عندما انقض عليه القاتل أو القتلة ، فظن الجريح أنهم سرقوه ، وسقطت القربة عن الجواد أثناء عراك الرجل مع قاتله .. دلوه ودفنوه، وكان الليل

قد دخل ، فنزلوا عن التل متجهين لبلاد الماعز يجرون الجواد معهم ، وقد غمرهم الحزن على هلاك الرجل الغريب ، وصمموا على نقل رسالته مهما كلف الأمر .

ولما وصلوا بلاد الماعز استراحوا في أحد الخانات ، ثم مشوا إلى قصر الأمير رضوان شقيق ملك بلاد الماعز " الملك رياض والملقب بشرح " واستأذنوا عليه فرحب بهم الأمير ، وأخذ منهم رسالة ولده الأمير خالد ، وذرف الأمير الدمع لما مسك خطاب ولده ، وقرأ الرسالة وهو يبكي وقد رؤيت الدموع تتساقط على خديه، ثم أمر الرسولين بالنزول بدار الأضياف الخاصة به ، فاعتذروا له وأعلموه أنهم ينزلون في أحد الخانات ، ولما رأى رغبتهم بالبقاء في الخان شكرهم وقال لهم : قبل سفركم مروا عليّ .

فقال ريح قبل الانصراف: أيريد مولانا أن يرسل جوابا لولده الأمير معنا أم سيبعث رسولا ؟

نظر إليه رضوان متضايقا ولكنه قال: لم أفكر بشيء بعد .. إذا كتبت شيئا ربما أرسله عن طريق خاص.. المهم عند مغادرتكم لبلادنا مروا عليّ حتى أودعكم الوداع اللائق .. فأنتم قمتم بعمل كبير ..أتعرفان ما في رسالة الأمير؟

قال هلال : لم يطلعنا الأمير على فحواها يا مولانا الأمير.. ولكن فهمنا منه أنه راغب بلقياكم

ـ أجل ، أجل ! متى تسافران ؟

ـ سنستريح بضعة أيام ثم نغادر.. هل نعتبر أن مهمتنا انتهت ؟

ـ أنا سأرسل رسولا من طرفي ..فعلى الرحب والسعة .

وأمر الخازن الخاص به بأن يعطي كل منهما صرة من المال ، فحاولا الاعتذار ؛ ولكنه الرجل أصر ، وقبضا المال وغادرا قصر الأمير رضوان ، وهكذا انتهت المهمة الأولى لهما في بلاد الماعز وبقيت المهمات الأخرى ، وصايا الميت الذي صادفاه في الطريق .

الأمير بهاء

رحبت العجوز سعدية بغاضب وهلال ، ولما نقلا لها نبأ هلاك ابنها بكت الدمع عليه، ثم سكنت روحها، فقدمت لهما الزاد ، ثم مشت بهما إلى شقيقها سلمان ، ونعت له ابنها ، وأقر لها بدين ولدها عليه، ووعدها أمام الشابين بسداده حين تيسر الحال، ومشى معهما نحو الأمير بهاء شقيق الملك على بلاد الماعز السمرة، فاستقبلهما الأمير وأثنى على شجاعتهما ، ولما انتهت مهمتهما عند الأمير غادروا القصر، ووهبهما سلمان فرس الرمح على رغبة أخته سعدية ، فاعتذرا له عن قبوله لعجزهما على إطعامه والعناية به ، وعاد سلمان لشقيقته محملا بهدايا وأموال الأمير بهاء .

وفي الصباح التالي لقضاء مهماتهم في بلاد الماعز غادر الشابان تلك الديار بدون المرور على قصر الأمير رضوان ، وقد تزودوا بالطعام والشراب وقفلا عائدين إلى بلاد القمحة ، وقد أنجزا المهمة الخاصة على أحسن حال ، وعمهما السرور لما فعلا

وبعد مسيرة أيام بلياليها حلو في بلاد القمحة ، والتقيا بالأمير خالد الذي سر بعودتهما سالمين، وعمه الفرح بعد ذلك الغياب ، وعانقهما العناق الحار ، وعجب من عدم إرسال والده ردا معهما ولو كلمة تشجعه على الرحيل لبلاد عشيرته ؛ ولكنه سلم الأمر لله رب السماوات والأرض ، وأمل بوصول رسالة مع رسول من طرف والده الذي فرح برسالته كما نقل له الأخوان ، وبكاؤه لما سمع بخبره .

ولما علم قائد الحصن بعودتهما بعد ذلك الغياب بدون أذنه رفض لقائها ، وأمر بطردهما ، فكشفا لقائد الحصن عن سبب تغيبهما الخفي ، وأكد له الأمير نفسه هذا الأمر .. فاحتار القائد بما يفعل بعد سماعه حجة القوم وبقيامها بهذه المهمة الخطيرة .. فعندئذ غض القائد الطرف عن تصرفهما وخاصة عندما أكد له الأمير أنه أطلع والدته على فعله ورسالته لأبيه ..فلزم القائد الصمت أمام هذه الحقائق .

تبدد قلق الأمير خالد لما علم بوصول وفد من بلاد الماعز لمقابلة الملك عدنان ، وقرأ الملك

رسالة الأمير رضوان ، وأرسل وراء الأمير خالد، الذي دخل ديوان الملك فرحا ؛ ولكنه دخل متظاهرا بجهل الأمر، فعرفه خاله الملك على وفد أبيه المكون من ثلاثة رجال ، وبعد أن انتهى الترحيب والسلام ، قدم له أحد الخدم رسالة والده لخاله ، فقرأ فيها بعد التحية والسلام " لا مانع لديّ من زيارة ولديّ خالد ويزيد واستقبالهما في بيت والدهما " .

وضع الرسالة بعدما قرأها أكثر من مرة على مائدة في الديوان ، واختلس النظر لخاله الذي قال واجما : ها هو أبوك يرحب بك في قصره .. فاذهب لأخيك يزيد وتجهزا للرحيل .

قال الأمير بصوت منخفض : الأمير يزيد .. لا يريد الرحيل .

ـ وما أدراك بذلك ؟

ـ قد تحدثنا منذ حين بهذا الأمر ، فقد فقال " من طرد أمي ليس بأبي .. ومن شك في طهارة أمي ليس بأبي "

تبسم الملك وقال : هذا منا .. اذهب وحدك يا ابن أختي ..

ـ ألا تسمح لي بالنظر والتشاور مع أمي يا مولاي الملك ؟

ـ أنا تكلمت مع والدتك قبل حضورك مجلسنا هذا.. إنها لا تمانع برحليكم مع

وفد الأمير رضوان لرؤية والدكم حتى لا تلومونا في يوم من الأيام .. وعليك أن تجمع الوفد بأخيك يزيد حتى يتحدثوا معه ويقنعوه بالرحيل معكم .

ـ لن أنسى فضلك يا مولاي عليّ وعلى إخوتي .. ولكنه أبي يا مولاي الملك !

ـ نحن نعلم أنه أبوك .. وها أنت ترى أننا لا نحول بين تعرفك على بني قومك .. ونحن بلادنا ترحب بك وقتما تشاء .. فستبقى ابن أختنا .. فإذا لم يطب لك المقام .. فلا تنسى أننا نرحب بك من أجل اختنا الطاهرة .

ـ أترضى أمي ببقائي هناك ؟!

ـ أنا طلبت منها ذلك أيضا يا أمير خالد .

تقدم الشاب مقبلا يد الملك وقال ممتنا : أنا منكم يا سيدي ومولاي .. وهو أبي .. أبي !!

ـ افعل ما يطيب لك .. وها هو الوفد عندنا لثلاثة أيام .. ففكر أنت وأخوك ثانية وشاور .

أثنى الوفد على كلام الملك عدنان ، وشكروه على أريحيته ، ووعدوه برعاية الأمراء أحسن رعاية والمحافظة على حياتهم ، وغادر الوفد لديوان الضيافة على وعد أن يجتمعوا بالأمير يزيد والتخابر معه .

وانصرف الأمير خالد إلى قصر والدته الأميرة صيد ، وكلمها بكل ما دار في قصر الملك ، فردت بجملة واحدة : لقد وعدت خالك الملك أن أترك لك فعل ما تراه مناسبا .. اذهب يا ولدي لأهلك راشدا ..وإن طاب لك العيش هناك فاعلم أني سعيدة .. فكما أنا أمك فرضوان هو أبوك

ـ إنني أحبك يا أماه ! .. ولا يمكن أن أنسى فضلك وتربيتك لي .. ولا يمكن أن أنسى تعلقك بنا وتضحياتك من أجلنا.. ولا يمكن أن أشك في عفتك وشرفك يوما .. ولكنهم قومي.. إنهم آبائي.. وهل يمكن للرجل أن يهجر أباه يا أماه؟!.. لابد لي من رؤية هذا الأب.. ومعرفة أعمامي وعشيرتي أيتها الأم الحنون .

ـ لا حرج عليك يا ولدي.. افعل ما تراه مناسبا ، لا يجوز لي أن أحرمك من قومك .. ولكن أقسم أمامك مرة أخرى إنني لم أسمح لنفسي أن تخلو برجل غير أبيك يا خالد .. لا تصدق ما سيصفون به أمك من البهتان .. ولولاي لجرى الدم بين البلدين .. أنا لم أخن قومك ، ولم أخن قومي .

ـ أقسم لك يا أمي إنني لا يمكن أن أدنس فكري بالشك والريب في طهارتك وبراءتك .. الموت خير لي إن غيرت اعتقادي فيك .

الأب

كان الأمير خالد سعيدا ؛ لأنه سيلقى أباه الذي كان يعتقد موته كل هذه السنوات العشر ، وطلب من الملك عدنان أن يسمح بسفر رفيقيه هلال وغاضب معه ، فالتقى بهما الملك ، وتعرف عليهما الملك وأذن لهما بالسفر معه ، وصحبته في بلاد الماعز، وكان يزيد قد اجتمع بالوفد ، ورفض الرحيل ، ولم يقنع بوجهة نظرهم ، وباءت محاولات خالد نفسه معه بالفشل، وقد حاول عم لهلال صرف ابن أخيه عن هذه الرحلة ؛ ولكن الشاب أصر على مرافقة صديقيه خالد وغاضب .. وكان هلال قد قتل والده في مهمة خاصة كهذه ، وتقديرا لشجاعته أذن لولده بالتعلم والالتحاق بحصن التدريب.. كما حصل مع غاضب أيضا وقد اشرنا لذلك آنفا.. ولما علم العم برغبة الملك ورضاه اضطر أن يصمت.. وأم الأمير خالد استسلمت لرغبة الفتى ولزمت الهدوء ، وأمر الملك خمسة من فرسان المدينة بمصاحبة الوفد والأمير إلى أطراف بلاد الماعز .

وودع الأمير خاله الملك بالعناق والاعتذار من اختياره للحياة مع قومه ووالده ، وكان الوداع أليما على أمه وإخوته، وقال لها مودعا : أعلم أن هذا صعب عليك يا أماه .. ولكنهم قومي.. وأبي ! ولسوف أتردد عليكم كلما سنحت الأحوال .. لا يمكن أن أنساك.. سامحيني يا أماه .. لا تغضبي عليّ .. ولم اختر أبي تفضيلا له عليك .. أبدا بل أنت قرة عيني وتاج رأسي .

ـ رافقتك السلامة وصحبتك أبد الدهر .. لا تنسى أمك التي تحبك .. فأنت أول فرحة لها في الدنيا الماكرة .

رحل الوفد بصحبة خالد وصاحبيه إلى بلاد الماعز السمرة ، وقطعوا الطريق بين البلدين بدون حديث يذكر، ومضى القوم إلى قصر الأمير رضوان شقيق ملك بلاد الماعز، واجتمع الوالد بولده بعد غياب اختياري امتد عشر سنوات .. وتعانق الأميران ، وأعجب الأمير رضوان بوسامة ابنه وشبابه وصلابة عوده رغم صغر سنه ، وجاء الإخوة من زوجات أبيه الأخريات اللواتي نكحهن بعد طرده لصيد أم خالد .. وكن ثلاث فتيات وابن واحد اسمه ضرغام .. ولما

انتهى الاحتفاء بالأمير، قال الأب : سأرتب لك زيارة لعمك الملك.. وأعمامك وقومك.. وعماتك وجداتك أيها الأمير ، وأخبر الوفد الأمير برفض ابنه يزيد المجيء ، وأصر على البقاء عند أخواله .

وقال خالد: لقد رفض رغم الجهد الذي بذلته أنا وهؤلاء السادة ، وربما يلين بعد حين .

فأخذ الأمير الأب يلعنه ويشتمه وقال : أهلا بك يا ولدي ! .. والتفت لرفاق الأمير من بلاد القمحة وتابع قائلا : ورفاقك هؤلاء.. ماذا ستفعل بهم ؟ لقد التقينا بهم سابقا وتعرفنا وسافروا دون علمنا .

وقد تضايق خالد لعدم سؤال أبيه عن أخيه زياد ؛ ولكنه غض الطرف عن الغضب ورد على أبيه: سيبقون معي .

فاعترض وقال الأب: لا يا ولدي أنت أمير، وهما رعاع لا مكان لهم في القصر .

فقال خالد بضيق واضح : وماذا أفعل بهم ؟ هل أتخلى عنهم ؟!

ـ من الصعب يا بني أن يعيشوا بيننا.. فهؤلاء جواسيس عليك وعلى بلادنا .

هتف الأمير مستغربا اتهام أبيه لهم : جواسيس !! إنهم رفاقي عشنا معا في حصن التدريب يا أبي .. وهم الذين غامروا بحياتهم لنقل رسالتي إليك .

ـ أعرف ؛ ولكنهم من بلاد أمك المطرودة ، ولا يؤمن جانبهم .. فنحن في عداء دائم مع بلدكم دعهم ينصرفوا لبلادهم خير لهم ولنا .. وأنت ستسكن في هذا القصر .. فلا مكان لهم بيننا.. وعندنا نساء لا نسمح للأغراب والأعداء برؤيتهن.. فتخلص منهم بحيلتك .

ـ حيلتي !! ألا يوجد حرس لهذا القصر؟ .. يكونون مع الحرس .

ـ قلبي لا يطمئن إليهم وهم صبيان لا يصلحون للحراسة .. إذا أنت مستحي من خطابهم فأنا أخطابهم أو حتى وكيل القصر يخاطبهم .

لم يكن الأمير خالد يتخيل أن تضيق بلاد أبيه بوسع رفيقيه ريح البحر وهلال .. ولم يخطر في باله أن يكون أصحابه جواسيس .. فهو قد خبر إخلاصهم له منذ سنوات منذ الطفولة ، ولا يمكن

لهم أن يعملوا جواسيس لخاله ؛ لأنه هو الذي اختصهم لصحبته ومرافقته.. ولكنه كان شجاعا ولا يريد أن يدع لأبيه حجة عليه ليسيء إليه ويرده لأمه، فكلم صديقيه بما ادعاه والده من خوفه من ناحيتهما ، وأبدى اعتذاره الشديد لهما.. وبعد وجوم وصمت قاتل بينهم ، قال هلال : نحن نستطيع العودة لبلادنا وأهالينا !

فقال خالد والحزن يغمره : لكنني سأجد صعوبة بالحياة هنا دونكم !

فقال بحر : سوف تتأقلم على العيش بعد حين يسير ..وأذن لنا بالرحيل .

ـ لا ..لا ..كيف آذن لكم وأنا أحبكم ..إني حزين !

فقال ريح بضيق مكتوم : أيها الأمير .. نحن سنبقى بقربك بعض الوقت .. حتى نطمئن عليك .. فأبوك يبدو أنه لا يحب أحدا من بلاد القمحة .. وقد وصتنا أمك كثيرا عليك .. سنسكن بيتا خاصا ..أو نعيش في أطراف البلاد .. حتى تستقر بين قومك ، وتقر نفسك .. فنعود لبلادنا ، ونطمئن أمك الأميرة على وضعك وحياتك مع بني قومك ..

فقال خالد دامعا : تعودت عليكم .. لا أتخيل كيف أعيش بدونكم !

فقال هلال معزيا له : سنة الحياة الاجتماع والتفرق أيها الأمير .. وقد كبرنا، ولم نعد أولئك الأطفال أيها الصديق الحبيب .. نتمنى لك إقامة طيبة مع والدك وعشيرتك .. وسنبقى على اتصال حتى نتأكد أنك بأمن وقادر على رعاية نفسك والثبات والبقاء في هذه البلاد .

ـ إني خجل مما يجري ..أأعجز عن الاحتفاظ بصديقيّ ؟!.. قصر أبي وملك عمي لا يتسع لصديقين ..

فقال بحر : هو يتسع ؛ ولكن الخوف منا والزعم أننا عيون لبلادنا هذا ما يريبهم .

فقال هلال : وهذا خير لنا ولك .. حتى لا يعتبرونا جواسيس حقا .



ودع الصديقان خالدا وغادروا قصر الأمير رضوان وهم في غيظ وغل وحيرة وألم ، وهاما على وجهيهما في ساحات وشوارع المدينة ، ثم مشيا لأحد الخانات يقضيان ليلهما، ويفكران بما يفعلان ، وقال بحر : هذا سيدفعنا على الاعتماد على أنفسنا ولا نركن إلى هؤلاء السادة .. وها نحن قد تحررنا من أي ارتباط بهؤلاء الناس.. سنقضي شهرا هنا لنطمئن على الأمير؛ لأنه صديقنا ومن أجل خاطر أمه التي اعتمدت علينا لحمايته والبقاء مع ابنها .. ثم نعود لبلاد القمحة .. فبلادنا خير لنا .. أو نهيم في بلاد الله الواسعة .

ولما لاحظ الأمير رضوان ثانية تردد الشابين على الأمير ، طلب منه أن يأمرها بالرحيل من البلاد ولا داعي لوجودهما وإلا رماهما في السجن .

ثم قال له غاضبا: عليك أن تصدق أنهم عيون عليك يا ولدي ..ونحن خائفون على حياتها ..

وكان هذا الطلب بعدما أقام الأمير رضوان وليمة كبيرة دعا إليها الملك والأقارب ليتعرفوا على ولده العائد من بلاد القمحة ، وقد تعرف الأمير على الملك والأعمام الكثر وأولادهم وعلى زوجاتهم وعلى رأسهم جدته أم والده الملكة التي عادت أمه ، ولم تحترم حفيدها فأسمعته الكلام القبيح في حق أمه، وهو صامت لم يحرك ساكنا، وأدرك حقد الجدة الكبير على أمه .. وأدرك أيضا أنه ضعيف وعاجز عن الدفاع عن شرف أمه ..

فلما سمع مطلب والده أو أمره خاف حقيقة على اغتيال صديقيه ؛ ولكن صعب عليه أن يطلب منهم مغادرة البلاد ، وهو في حاجة إليهما في جواره ، وهو في هذا الخضم من الحقد والكره لأمه وقد بدأ له العداء سريعا من أخيه ضرغام ومن أمه.. فهو من سنه من زوجة أبيه التي تزوجها بعد زواجه من أمه بسنتين أو ثلاث ..وهي قريبة لأبيه .. واطلع الرفيقان على تحذير الأمير رضوان من أحد الخدم الذين وضعهم رضوان لخدمة الأمير .

فقال ريح البحر للأمير : يا صديقي .. ائذن لنا بالعودة لبلادنا .

تساقطت الدموع وقال : إني حائر.. وعزيز عليّ فراقكم .. فأنتم أعز الإخوة عندي .. ولكن حياتكم غالية عليّ .

فقال هلال : يا أمير لابد من الفراق .. فهم ينظرون إلينا كأعداء .. ولعلنا نستطيع أن نتردد عليك من حين لآخر . وودعهما الأمير والعيون باكية عاجزة .. وهو يعجب لبلد تعجز عن استبقاء شابين صغيرين في ربوعها بحجة واهية لا تقنع رضيعا .

وغادر الرفيقان المدينة ولكن ليس لبلاد القمحة ، إنما نحو القرى القريبة من المدينة ؛ ليعملا بالرعي ، وللبقاء حول المدينة ليظلا حول الأمير، ويغلب على ظنهما أنه في أمان واستقرار بين قومه وأهله . وفي إحدى القرى تيسر لهما العمل مقابل النوم والطعام عند أحد الرعاة الذي بين يديه ما يزيد عن ألف رأس من الغنم .. وقبلهم الرجل وهو فرح بشرطيهم .

وعندما كانا يعودان من الرعي بين الجبال والوديان يتسللان إلى المدينة يلتقطان أخبار الأمير مدعين أنهم يزورون بعض أقاربهم .

ودام هذا الحال عاما وقد رجع هلال يوما من المدينة بخبر مثير ومرعب ، ومفاد الخبر أن الملك قتل أخاه الأمير بهاء ، والغضب والفتنة تعصف في البلاد .

وعلم ريح من هلال أن صراعا كان دائرا بين الأمير بهاء والملك .. فبهاء يطمع أن يكون الملك بعد موت أخيه حسب وصية أبيه الملك شامخ ، ولكن الملك القائم يريد وضع ابنه ملكا ليبقى الملك في ذريته .. فكان الأمير بهاء يراسل بعض الملوك لمساعدته على الاستيلاء على الحكم .. وتكشف لهم أن الرجل الذي قتل في الغابة وقد التقياه قبل زمن كان رسولا من الأمير بهاء لأحد الملوك الذين يشجعون الأمير على التمرد وعزل شقيقه والتسلطن على المدينة.. ولكن أعوان الملك وعيونه كانوا يتابعون تحركات بهاء وأعوانه .. فتابعوا الرسول وقتلوه في الغابة ، ولم يجدوا معه جوابا .. ولما ضاق الملك بأخيه ودسائسه .. أرسل بعض أعوانه إلى قصره واغتالوه أمام الجميع .. وكبر الصراع بين الإخوة .. ورفضوا هذه الطريقة القاسية لحل المشاكل .. وأن اللجوء للقتل لحل المشاكل ليس الطريقة المثلى ؛ ولكن الملك هددهم وتوعدهم بنفس المصير .

بلاد الماعز

بلاد الماعز واسعة ، وتضم ثلاث عشائر كبيرة سوى القبائل الصغيرة والأحلاف ، واستقر الملك في قبيلة الوعل لأنهم أول من سكن الديار ، وعددهم كثير مما ممكن لهم الاستقرار حكاما على المدينة، وتوارث رجالها السيادة جيل بعد جيل ، والقبيلة الكبرى الثانية قبيلة الحمام ، وقد كانت في حلف مع قبيلة الوعل ، وأكثر رجالها في الجيش والشرطة ، ومنهم الوزراء أو وصلوا لكرسي الوزارة ، وأما القبيلة الثالثة قبيلة " العزام "، خاضت حروبا مع القبلتين ، وتعرضت لهزائم حتى رضخت في النهاية لحكم قبيلة الوعل والحمام .. ولها امتداد في المدن والقرى المحيطة ببلدة الماعز، وكما ذكرت آنفا هناك فروع وعشائر تحالفت مع هذه القبائل الكبيرة .. وتركوا أمصارهم وبواديهم وسكنوا الماعز نتيجة صراعات قبلية أو ضيق المكان .. ومع الوقت كبرت المدينة، واستقر الحكم في أسرة الملك شامخ والد الأمير رضوان وبهاء الذي كان في عصره زواج الأمير رضوان وصيد كما مر معنا في الصفحات السابقة .

وظل رجال قبيلة الوعل يحافظون على الملك ، ولا يتهاونون في الحفاظ عليه ، وكانت التحالفات تقوم بينهم وبين ملوك المدن الأخرى ، ولكن طبيعة الناس التنافس والصراع والدفع فتحدث الفتن والقلاقل بين القبائل بين الأمراء ..

وكان الملك شامخ ملكا قويا وشجاعا ومغامرا فقد خاض معارك شرسة مع ملوك المدن الأخرى حتى صارت له هيبة بين الملوك ، ويهادونه بالهدايا الثمينة من الجياد الأصيلة والسيوف المنيعة .. ولكنه لم يضم أي مدينة لمملكته .. يغزو ويقاتل ثم يكر راجعا لبلاده .. وكذلك كان يصاهر الملوك إما بنفسه أو بأولاده وأعمامه وأبنائهم ..ولقد حاول مرة ضم إحدى المدن بعد انتصاره على أهلها؛ ولكنه وجد مقاومة عنيفة فلم يكرر التجربة .. وكان تزوج الأمراء من عدد من النساء شائعا في البلاد .. وكان من عادة الملك شامخ أن يشيد لكل زوجة من زوجاته قصرا كبيرا تستقر به هي وأولادها وزوجاتهم .. ولما نكح رضوان ابنة الملك (البراق) الأميرة صيد سكن في قصر أمه .. ولكن بعد حين نتيجة بعض المنازعات انتقل رضوان بزوجاته إلى

قصر خاص به .. ووافق الملك الكبير على ذلك تخفيفا من مشاكل النساء ومنازعاتهن التي لا تنتهي .. وتكريما لملك بلاد القمحة أيضا سكت .. ولكن أم الأمير رضوان زاد حقدها على الأميرة صيد لانفصالها عن قصرها ، وعدت ذلك جريمة وإهانة لا تغتفر .. فأكثرت عليها الإشاعات والدسائس حتى اتهمتها بخيانة زوجها مع أحد الحرس وكشفت لهم ذلك إحدى جواري الأميرة .. التي اختفت من الحياة بعد إثارة تلك الشائعة .. وتبع ذلك قتل الجندي الحارس .. فترسخ في الأذهان أنهم فعلوا ذلك لإخفاء الجريمة .. وصدقت المقولة على الأميرة صيد .. وأمام هذه الاتهام عجز الأمير رضوان عن فعل شيء ، وأقنع نفسه بأن مولوده الأخير من الزنا تمشيا مع الاتهامات .. وأعلن انفصاله عن الأميرة ، وتبرأ من المولود المسمى زيادا.. وصمت الملك شامخ عن التدخل .. وأعادوا الأميرة المتهمة إلى بلادها ، ولم يقتلوها كعادتهم في إهلاك الزانيات ..وحتى لا يثيروا حربا بين البلدين ، ومن أجل خاطر الابنين خالد ويزيد .. وربما تركوا أمر العقاب للملك براق والد الأميرة .

هذا التفصيل علمه خالد بعد وصوله لبلاد الماعز.. ومن مصادر مختلفة .. وكان أشد الناس عداوة لأمه جدته أم أبيه ..فما تلتقي به مرة إلا وتحدثه عن فحش أمه .. رغم مرور كل هذه السنين على هذه الحادثة الكاذبة ..

ولما هلك الملك شامخ تولى الحكم ابنه الأكبر رياض ، وكان شامخ أوصى بأن يكون الحكم في أبنائه الأكبر فالأصغر.. ولكن الملك رياضا بعدما استقر في الملك أراد إلغاء هذه الوصية ، وعزل أخاه بهاء عن ولاية العهد .. وكان أخوال ابنه من عشيرته ، وهم معروفون بالفروسية والقوة .. وأيدوا هذا المطلب ودعموه ، فدار تنازع داخل الأسرة فبعضهم سكت عن طلب رياض ، وبعضهم أيد ولاية الأمير سيف .. وأما الأمير بهاء فرفض الانصياع والتنازل وتمسك بالوفاء بعهد أبيه .

ولما أعلن الأمير سيف وليا للعهد ، وبايعه المقربون من أبيه الملك ، فزاد التحزب بين القبائل ، وكان الملك رياض يرى أن ذلك أثبت للعرش والحكم .

وضيق الملك على أخيه الخناق ، ومنعه الخروج من البلاد ، وأصبح تحت عيون الجواسيس ، لما سمع أنه يراسل بعض الملوك الناقمين على بلادهم .. وقد قرأتم نبأ رجل الغابة الذي صدفه بحر وهلال في أول مسير لهم لبلاد الماعز .. وتبين لنا أنه من رجال الأمير بهاء، وقد كان مرسلا برسالة شفوية لأحد الملوك .. والأمير رضوان شقيق للأمير بهاء من أمه أيضا .. وكذا الأمير زيدان والأمير نشوان .. والأميرة سلمى وخولة وليلى .. كلهم من أم واحدة .. وغضبت أمهم " الملكة نعسة " غضبا شديدا على ابن زوجها الملك .. وشتمته أمام كل رجال حاشيته .. لما فتك بابنها بهاء .. ولكنه تمالك غضبه وأمر أولادها بسحبها إلى قصرها .

والحق أن إخوة بهاء طلبوا منه التنازل عن ولاية العهد ، والابتعاد عن الصراعات وعن المحرضين له على ابن أخيه الأكبر .. حفظا على قوة الملك وقوة العشيرة .. وتفويت الفرصة على الحاقدين والحاسدين .

ولكن الأمير بهاء أصر على البقاء وليا للحكم .. وأن الوفاء بعهد الأب دين ، وصدم القوم كلهم بمقتل الأمير علنا ومتهما بالخيانة والتواطؤ مع أعداء البلد ومراسلتهم للتحريض على غزو المدينة .

وتعرض الأخ زيدان للملك ، واحتج على فعلته، فطرح في السجن مع أفراد أسرته ، ووضعت قصور رضوان ونشوان تحت الحراسة من أعوان الملك الغاضب .. وتحرك زعماء القبائل للصلح بين الأخوة ؛ ولكن أولاد الأمير بهاء رفضوا الحديث في الصلح وطلبوا الخروج والرحيل عن البلاد .. فرفض الملك ذلك ، ورضي في شفاعتهم في أخيه زيدان ، ووضع كسائر إخوته تحت الحراسة .

وجرى تطور خطير في البلاد أن إحدى زوجات الأمير بهاء أرسلت رسالة لوالدها وهو أحد ملوك المدن المجاورة تعلمه بترملها ومقتل زوجها وترغب بالعودة إليه ..

وقد علم الملك رياض بذلك عندما تلقى رسالة من ذلك الملك يطلب إرسال ابنته معززة مكرمة لبلاد أبيها . فغضب الملك رياض وعاقب الحراس الذين سمحوا بخروج الرسالة أشد العقاب

وطلب من الأميرة برد مغادرة البلاد ، ومنع سفر أبنائها معها أشد المنع .. وأمرها بالسفر مع الرسول وبعض خدمها .. وخرجت الأميرة إلى أهلها بغير أولاد وحرس .



فلما رحلت الأميرة برد إحدى زوجات الأمير المقتول بهاء .. وليس بصحبتها إلا الرسول والخدم .. دخل بعض الأمراء على الملك رياض .. وطلبوا منه أن يرسل معها بعض الحرس والجند لبلاد أبيها خوفا من العاديات ولصوص الغابات ليوصلوها لبلدها كما كانت عادات الملوك والأحرار .. وأن سفرها بدون حرس سيكون عيبا وعارا في حقهم .

فرد الملك عليهم : أنا فعلت ذلك عمدا حتى تلين وترتد إلى أولادها وتستقر بيننا .. ولكنها ركبت رأسها وأصرت على الخروج .. وأنا لا أسمح لأحد مهما كان شخصه أن يرفض طاعتي ويتمرد على رغبتي !

فقال أحد الأمراء : أيها الملك .. هذه امرأة مفجوعة بزوجها .

ـ كان عليها أن تلزم بيتها كسائر النساء ، ولا تحشر نفسها في صراعنا .. مدينة برأسين لا تصلح ولا تقوم .. أين كانت عندما حذرت أخي اللعين من التمادي في تآمره وعدوانه ؟!. . لماذا لم تنصح زوجها بالطاعة للملك ؟!

ودار حديث حاد بين الرجال ، ولم يقتنع البعض بتفرد الملك برأيه ، وغادر بعضهم غضبا من بين يدي الملك .. وارتفع التحزب بين أهل المدينة ، وأخذ البعض يسعى لتهدئة البلاد وتسكين الأوضاع .. ولكن ازداد ملكهم طغيانا وعنفا وعتوا .. وبينما هؤلاء يتصايحون ويتجاذبون الاتهامات وصل إليهم خبر مصرع الأميرة برد قبل الوصول لديار أبيها .. فقد هاجمها قطاع الطرق ، واستولوا على ما معها من ذهب ومصاغ بعد أن رفضت تسليمهم ذاك ، وأعلمتهم أنها أميرة ، ولم يصدقوا طبعا ادعاءها أنها أميرة بلا حرس .. ولما نقلت هذه الأخبار للملك رياض صعب الأمر عليه وندم على تشدده .. وأدرك عظم غلطته في عدم إرسال بعض الحرس معها ..

وبينما هو يعض أنامله ندما وصلته رسالة من ملك بلاد الأميرة برد الملك الشيخ عزب يخبره فيها بالاستعداد للقتال ؛ لأن قومه غاضبون لم حل بصهرهم بهاء وابنتهم برد .

ولم تكد تصل الرسالة حتى علم الملك رياض أن جيوشهم على أطراف المدينة طالبون الثأر لمقتل ابنة ملكهم كما أخبر الرعاة .

فطلب الملك أخاه عامرا ، وكلفه بالخروج لصد الأعداء ودفعهم أو يقبلوا الدية .. ولما اجتمع الجيشان أرسل الأمير أحد الفرسان ليحاول التفاهم مع القائد حمد شقيق الأميرة برد وحقن دماء الرجال .. ولكن الأمير حمدا أصر على القتال أو مجيء الملك الرياض بنفسه للاعتذار للأمراء والملك عزب ثم يدفع الدية .. ويتعهد لهم بمطاردة اللصوص الذين اعتدوا عليها والقضاء عليهم .

ودارت رحى الحرب وسقط القتلى من الطرفين ، وبدأ لسادة الماعز ضعفهم أمام جحافل الملك الحصان(عزب).. واستعرت الحرب بوصول المدد لعساكر القائد حمد .. وانتهى الأسبوع الأول من المعارك الدامية .. وقتل الأمير عامر في رحى الحرب وأحد أبنائه .. فطلب من الأمير رضوان الالتحاق بالقتال والثأر لأخيه .. فمشى الأمير مكرها وبصحبته ولده خالد وضرغام ليقود الجيش في الدفاع عن المدينة ..وتمنى يومئذ الأمير خالد لو ظل عاكفا في بلاد أمه .. ماذا يجنون من مطاعم عمهم الملك؟!.. واستمر العراك وأصيب الأمير خالد وسيق أسيرا .. وتبعه والده رضوان وهرب أخوه ضرغام من آتون الحرب كان الجرحى والأسرى يسحبون من ميدان المعركة وينقلون إلى بلاد الملك عزب الملقب بالحصان .

وعرض الملك رياض الصلح ثانية على القائد حمد وحقن الدماء .. فكرر الملك الحصان شروطه.. ورفض الملك رياض وأشار إليه بعض حاشيته الخروج بنفسه لتقوى شوكة الجنود خاصة عندما علم بخروج الملك الحصان بنفسه للقتال .. فتردد الملك ورفض الخروج ، استمر القتال .. وبدأت القبائل تهجر المدينة .. ثم كثر هرب الجند .. وانتشر الرعب بين الأهالي .. وبينما الملك يفكر بالحل الملائم تقدم الملك الحصان وفرسانه نحو القصر الملكي .. فغادر الملك

البلاد هاربا ، وقد بدأ لقومه أنه قد استعد لهذه اللحظة الخطيرة.. ولجأ إلى أحد الملوك .. واستولى الملك الحصان على بلاد الماعز .. واستولى على خيل ودواب الملك وأمواله التي لم يحملها معه أثناء هروبه في جنح الليل .. واستقبل بعض سادة المدينة معلنين الانصياع له والاستسلام لجنده والقبول بشروطه .. فأمر الحصان جنده بوقف القتال والفساد في البلاد .. وبعد تشاور مع رجالات البلد عقد الصلح بينهم .. وأعلن عن تنصيب الأمير زيد بن بهاء والأميرة المقتولة برد ملكا على المدينة .. وأصبح عمه مخلوعا ، ولا يحق له العودة للمدينة ، ولا الجلوس على عرشها ووافق أهل المدينة من الأمراء والسادة على ذلك .. ووعدهم الحصان برد الأسرى .. ثم رتب أمور المدينة ، وهدد وتوعد من الغدر وعدم الوفاء بعقد الصلح .. وغادر الملك الحصان بلاد الماعز ظافرا منتصرا محذرا لهم الغدر وأنه إذا لم يستقر الملك لابن ابنته سيضمها لبلاده ويجعل عليها أميرا من أبطاله .



الصراع

ولما رجع الملك الحصان من غزو بلاد الماعز والثأر لمقتل ابنته برد وزوجها بهاء ومن تنصيب حفيده زيد ملكا عليها ..وقد جلس في قصره يتقبل تهاني وزيره والملوك الآخرين أتاه الخبر الصاعق باغتيال حفيده زيد .. فاستشاط غضبا ونقمة على بلاد الماعز .. فأمر أحد قادته بالمسير إليها بألف فارس ، والبقاء فيها حاكما حتى ينظر في أمرها وما يناسبها من حكم وملك ولما وصل القائد إليها جمع رجال الأسرة الحاكمة للتشاور .. وطلب منهم أن يختاروا ملكا منهم عليهم .. فاقترح بعضهم عودة الملك رياض والعفو عنه ليستقر حال البلاد والعباد .. وبعد مراسلات بين الملك الهارب والملك الحصان وزعماء المدينة تمت المصالحة على أن يحكم البلاد الأمير سيف بن الملك رياض سيد البلد الهارب .. وبعد أشهر وافق الملك الحصان على ابن الملك رياض على اعتلاء العرش الملك سيف ، وأن يبقى رياض في المنفى الذي اختاره .. وعاد كثير من رجال الملك رياض من منافيهم ، وأعلن سيف ملكا جديدا على بلاد الماعز السمرة .. وبعد زمن يسير تزوج الملك سيف ابنة عمه الأمير بهاء أخت الملك المقتول زيد .. أملا في تحقيق السلام في البلاد وبين العائلتين .. وانشغل الناس بهذا العرس ، واعتقدوا أنهم بهذا الزواج قضوا على الفتنة والفساد وزالت الأحقاد والإحن .

أما الأمير خالد فبعدما رجع من الأسر مع والده ـ وكان قد أصيب قبل أن يؤسر ـ فانشغل كل هذه المدة بمداوة جرحه الخارجي والداخلي .. وأخذ يحلم بالهدوء الذي كان يحياه في بلاد خاله عدنان .. ولما تماثل للشفاء من جرحه أعلمه والده برغبته بتزويجه من إحدى بنات أخيه الأمير بهاء .. ووافق أخوتها على اقتران أختهم بالأمير خالد .. وبهذا الزواج أصبح الأمير عديلا للملك سيف .. ومنحه والده أرضا ليشيد عليها قصرا خاصا به .. وكانت هذه الأرض المزروعة التي سيقام في وسطها قصرا في أحد أطراف المدينة .. فسر بها الأمير، وقام البناء ، وتم بالزواج من الأميرة ريم .

وبينما هو يتجول في أملاكه يوما أخبره أحد الخدم عن شخصين يسألان مقابلته ، فلما علم من

هما سر غاية السرور ، ورحب بهما معانقا لهم ، وهو يظهر سعادته بلقائهما .. وكان يظنهما قادمين من بلاد القمحة .. فأخبروه أنهما لم يعودا إليها بعد، وإنما يسيحون في الأرض .. فأخبرهم بخبره وأحواله .. وهما يعلمانه لأنهما لم يبتعدا عن بلاد الماعز بعيدا .. وفرح الصديقان لم حل للأمير من سعادة واستقلال .. وطمع ببقائهما عنده ، فاعتذرا عن ذلك خوفا من حصول أي مشاكل بينه وبين أبيه .. وهو في قرارة نفسه كان قلقا من ذلك وغير راغب ببقائهما..وبعد أيام قضياها في ضيافة الأمير ..أبديا رغبتهما بالعودة هذه المرة لبلاد القمحة ..وهما قد اطمأنا عليه .. وتمنى أن يرافقهما لتلك البلاد ؛ ولكن وضعه وزواجه لا يسمحان له بالسفر في الوقت الحالي وحملهما التحايا لأمه وأخويه وخاله الملك عدنان .. وكتب رسالة لأمه مخبرا لها بزواجه من ابنة عمه ، وأخرى للملك .. ولما غادر الشابان بلاد الماعز قال بحر لهلال : أعتقد يا هلال أن صداقتنا بالأمير انتهت .

ـ هذا قولي أيضا .. فما العمل الآن وقد اطمأننا على الأمير .. وهو الآن يعتمد على نفسه ، وليس بحاجة إلينا ولا لسيوفنا ..

ـ أجل ، أجل أيها الصديق .. بعد هذه السنوات من الغربة عن بلادنا فلن يقبلونا في حصن التدريب .. فأنا أفكر بأن نبحث عن أمير محارب نضع سيوفنا وأنفسنا في خدمته .. فالأمير خالد وجد عشيرته واستغنى عنا ..

ـ أين نضع سيوفنا وحياتنا ؟!

ـ عندما نصل بلاد القمحة ، ونوصل الرسائل لأهلها، ونطمئن الأميرة التي عهدت إلينا برعاية ابنها بحال ابنها نمشي في الأرض حتى نصل لسيد يقبل خدمتنا وبحاجة لسيوفنا .

****

ترك الصاحبان بلاد الماعز يحملان رسائل الأمير خالد لبلاد القمحة ، وفكرهما مشغول بأي طريق يسيران.. فها هو صديقهم قد تخلى عنهم منذ وطئت قدماه ديار أهله وعشيرته.. وتابعا المحنة التي دارت بين بلاد الماعز والملك الحصان .. وتابعا أسر خالد وجرحه ، ثم زواجه من

ابنة عمه المقتول الأمير بهاء .. فهو لم يعد بحاجة لصحبتهما وقربهما منه.. واقتنع بكلام والده بأنهما من بلاد القمحة ، وهم عيون أمه والملك عدنان عليه .. وحتى عندما أصبح رجلا وزوجا وصاحب قصر لم يضغط عليهما للبقاء معه ، وظل خائفا وقلقا نحوهما من ناحية أبيه .

وكان من عادة الفارسين أن يمشيان في الوديان وأطراف الجبال ويبتعدان عن طرق القوافل المعروفة والمطروقة .. ورغم المخاطر التي قد تعترضهما من اللصوص والحيوان ظلا على هذه العادة وهما سائران إلى بلاد القمحة .. ولما بعدا عن بلاد الماعز مسيرة أيام دخلا واديا سحيقا لا ماء فيه .. فهو يمتلأ بالماء في فصل الشتاء أثناء نزول المطر فقط.. وبينما هما يمشيان على أقدامهما.. وقد وصلا لجبل صغير مليء بالأشجار العالية.. يبتعد عن حافة الوادي .. فسمعا صوت خيل تركض .. فاختفيا بين الأشجار، وأخذا يتنصتان، وقبل أن يتسألا عن سبب هذه الضجة ، كان راكبا الجوادين يصلان إليهما ، ويقفان أمامهما، ويخفضون من ركض جواديهما ، ولما هدأت الخيل قال ريح البحر : ماذا تريدون أيها الرجال ؟!

فقال أحد الفارسين : ألستم خرجتم من بلاد الماعز ؟

ـ بلى أيها الفارس ؟ ما الأمر ؟!

ـ ألستم كنتم في ضيافة الأمير خالد بن رضوان ؟

ـ بلى ، .. فهل أصاب الأمير شيئا ؟!

ـ حسنا أيها الشابان .. هناك رجل يرغب بالحديث معكم قبل متابعتكم السير إلى بلاد القمحة ألستم سائرين إليها ؟

ـ بلى .. نحن من أهالي تلك المدينة

ـ بلاد أم الأمير خالد !

ـ نعم .

ـ هل أعطاكم الأمير شيئا ؟

ـ معنا بعض رسائله لأمه وأهله .

ـ رسائل لأمه!!..هيا بنا إلى عند تلك التلة ..فهناك رجل يهمه لقائكم .

ـ ولماذا لم يكن معكم ما دمتم تلاحقوننا منذ فارقنا دياركم ؟!

ـ لا أدري .. هيا !!

تطلع ريح في عيني صاحبه هلال للحظات وقال: هيا أيها الصديق لننظر ما القصة من وراء هذه المطاردة ؟!

مشيا أمام الفارسين حتى وصلا إلى مكان الفارسين الآخرين ، كانا اثنين لم يكن واحد كما فهما من كلام الفارس .. وكان أحدهما معروفا لهما وهو شقيق الأمير خالد الأمير ضرغام .. فبعد السلام والتحية أخذ أحد الفارسين يتحدث مع الأمير همسا بما دار بينه وبين غاضب من استفهام .

ولما انتهى الهمس التفت الأمير الصغير إليهما قائلا : أتعرفانني ؟

فتظاهرا بجهالته فقال هلال :لأ .. ولكنك من بلاد الماعز كما فهمنا من هؤلاء الرجال .

ـ ماذا كنتما تفعلان عند الأمير خالد بن الأمير رضوان ؟

ـ هو صديقنا وجئنا لزيارته ..ثم كلفنا بحمل رسائل لأمه في بلاد القمحة .

فقال الأمير: أرغب برؤية هذه الرسائل والاطلاع على فحواها ؟

فقال ريح : أولا لم تعرفنا بشخصك ، وثانيا الرسائل أمانة أيها السيد .

ـ ليس من المهم معرفة شخصي .. ومن المهم أن نستوثق مما في هذه الرسائل وهل أنتم ذاهبون لبلاد القمحة حقا ؟

قال بحر باسما: أتعتقدون أننا جواسيس أيها الناس ؟

ـ نحن لا نعتقد فحسب بل واثقون أنكم جواسيس لبلاد القمحة .. وخالد جاسوس مثلكم .

فصاح هلال غضبا : وخالد جاسوس مثلنا!!.. ألا تعلم أنك تهيننا أيها الإنسان بهذه التهمة الكاذبة .. ومن يخدم ملكه ليس جاسوسا .

قهقهة الأمير عاليا كأنه يسمع دعابة وقال : أهينكم !!أرأيتم يا رجال ؟!.. أأريتم وسمعتم ما

قالوا ؟! ..أأنا أهينهم ؟! .. هاتوا الرسائل قبل أن يثور غضبي وأسحقكّم وأدع جثثكم للغربان والسباع .

تبسم ريح وقلبه يغلي من الغيظ والقهر وقال: لقد علمنا أن الأمير خالدا دافع عن بلاده أمام الملك الحصان بكل قوة حتى أصيب وأسر .. فهل هذا جاسوس أيها الرجال ؟

فقال أحدهم : أطع الأمير .. لقد طال صبره عليكم ..

فتبسم ريح ومتظاهرا أنه للتو عرف الأمير وقال : أهذا أمير ؟!

فالتفت الأمير للرجل لما كشف لقبه كأنه غاضب عليه وقال : أمير أو حقير .. نحن نريد رؤية ما في هذه الرسائل .. طلب منا تعقبكم وأخذ الرسائل .

فقال له ريح بكل صراحة : أبوك بعثك !.. أنت الأمير ضرغام .. شقيق الأمير خالد؟ نحن نعرفك منذ رأيناك .

ـ آ ..أنا ضرغام بن الأمير رضوان .

فصاح ريح البحر: لماذا يكرهنا والدك ؟ ونحن الذين جعلنا من أنفسنا بريدا بينه وبين أخيك ؟

ضحك الأمير وقال: يكرهك! ومن أنتم حتى يكرهكم أبي ! أنتم حشرات .. صبري نفد .

قال ريح : يبدو أنكم لم تعرفونا جيدا أيها الأمير ..ظننتم أننا من الغلمان والخدم .. نحن يا سيدي من فرسان بلاد القمحة .. ونحن زملاء أخيك في حصن التدريب .. ولا يغررك أن معك هؤلاء الرجال ونحن اثنان ..أما الرسائل فلست أنت صاحب الحق في فضها .. ولا يمكن تسليمها ونحن أحياء ..وهذه الرسائل ليس فيها أمر يسيء لبلادكم .. هي رسائل خاصة لوالدته وإخوته .. ونحن في بلاد القمحة لا يهمنا ما يحصل في بلادكم من صراع وقتال فهذا شأنكم .. فدعوننا ننصرف بسلام .

فقال الأمير ضجرا : أوه!.. كلامك أكبر منك أيها الفتى.. أترفضون تسليم الرسائل ؟

فقال هلال متحديا وقد أخرج خنجره مستعدا للقتال: بالتأكيد نرفض أيها الأمير .. فهذه أمانة يلزمنا المحافظة عليها وتوصيلها لمن يستحق .. لأصحابها.. إلا إذا متنا كما قال صاحبي .

فأشار الأمير لرجاله بأسرهما وتجريدهم من أسلحتهم ، وكان الفارسان يقفان يستمعان لحوار الأمير ضرغام ببحر وهلال ، ولما سمعا الأمر الملقى إليهما وقبل أن يستجيبا لطم ريح أحدهما بقبضة يده على وجهه ، وثنى عليه باليسرى فطرحه أرضا يئن من قوة الضربة ، وفعل بالآخر مثل الأول قبل أن يفيق القوم من الصدمة والمفاجأة .. فنهضا وهما في أشد حالات الغضب ، وقد استلوا سيوفهم والدوار يعمي إبصارهم ؛ ولكن خناجر الفارسين كانت تستقر في أحشائهم .. ثم كان خنجر ريح حول عنق الأمير المطروح أرضا قبل أن يفيق من المفاجأة .. وهلال تفوق على الآخر ، وقد هاج الفارسان هيجان الأسود ، واحمرت عينا ريح وقال للأمير : أتريد أن تموت ؟

ولكن رفيق الأمير المبطوح كسيده: العفو .. العفو .. أيها السيدان !

فقال هلال : وأميرك ألا يريد العفو ؟

ظل الأمير صامتا مأخوذا مما حصل ، وأخذ رفيقه يطلب الصفح ويتوسل لهم والإقرار بنصرهم فرفس ريح الأمير بقدمه وصاح : قم للمبارزة إن كنت رجلا .. ألم تهرب من ميدان المعركة يا جبان يوم أسر أبوك وأخوك ..؟

جلس الأمير ولم يقف بل قال : لن اغفرها لكم إذا التقينا .

فقال هلال : تغفر لنا .. ومن أنت لتغفر لنا .. نحن الذين سنعفو عنك أيها الجبان لصداقتنا لأخيك فقط ..

فصاح الأمير بغيظ وقهر: أيها الحقير !

ورفسه بحر ثانية رفسة رفعته عن الأرض ، فقال رفيقه : دعنا ننصرف أيها الأمير.. اعف عنا أيها الفارسان.

فقال هلال : ألا تريد الانصراف أيها الأمير ؟

فقال بانكسار: سأنصرف ؛ ولكن حذار أن نلتقي ثانية .

فقال ريح هازئا متهكما : نحن أمامك سيف لسيف .. ألست تحمل سيفا وتركب جوادا ؟!

وبينها هم يتكلمون كان أحد الجريحين يتسلل ، وكاد يمسك بقدم هلال ؛ ولكن ريحا أحس به وهجم عليه وقتله بسرعة، فصاح صيحة وخمدت أنفاسه على أثرها وقال ريح الغاضب : أول قتيل على يديّ .. هلال خذ جيادهم الأربعة ..بل اثنان ودع لهم الآخرين .. ليصلا بلادهم ما زالت في قلوبنا الشفقة على بني الإنسان .

فأخذ هلال جوادين ، وركب أحدهما ، واعتلى ريح الثاني بعد أن استولى على سيفين، وجعب السهام وقوسين وقال : انصرفوا أيها الأوغاد ..لا .. ادفنوا صاحبكم أولا .

ولما باشر رفيق الأمير بالحفر .. ابتعد الفارسان عن مكان المعركة، وقد تغيرت الدنيا أمامها بعد هذه الحادثة .. فهذا أول دماء تراق من خناجرهما .. وأحسا بأنهما كبرا سنين وسنين .



هجر بلاد القمحة

كان لهذا الحادث العارض في حياة غاضب وهلال تغيير كبير في مسار حياتهما ، وما أخذوه هو أول غنم يكسبونه بسيوفهم وخناجرهم ، وأصبحوا الآن مطلوبين في بلاد الماعز إذا عرف الخبر وانتشر .. والأمير خالد صديقهم لابد أن يغتاظ منهم إذا علم بالحادث وشوهت التفاصيل.. والأمير رضوان سيزداد حقدا عليهم وبغضا.. ولسوف تزيد العداوة بين خالد وأخيه ..وربما يطلبونهم من ملك بلاد القمحة في مقتل رجلهم والجريح الذي قد يهلك هو الآخر قبل أن يصل بلاده .

أدرك الشابان عظم الأمر، وهما سائران نحو بلادهم ، التي وصلوها بسلام .. ودفعوا الرسائل لأم الأمير ..وسعدت بما سمعت من أخبار زواج ابنها من ابنة عمه .. وسألتهم عن الحروب التي وصلت أخبارها إليهم ، فحدثوها بالصراع الناشب على تاج تلك المدينة ، وأنه استقر الآن على رأس الملك سيف بن رياض .. وبعدما زار كل منهما والدته ..غادرا البلاد قبل وصول وفد أو رسول من بلاد الملك سيف مطالبين بثأرهم .. واتفق الشابان على المسير إلى بلاد القنفذ .. ففيها أمير محارب يحب الحروب والمعارك ، ويبيع سيفه لمن يدفع أو يؤجر نفسه وفرسانه .. فأحيانا يستأجره أهل المدن لصد عدوان .. وأحيانا تستأجره قوافل تجارية لتصل إلى مكان ما أو لتجتاز دربا خطيرا .. وكان قطاع الطرق يهابون هذا المحارب هيبة عظيمة .. ويتحاشون الصدام معه .. لشدته وقسوته ..وكان أمير هذه البلدة الصغيرة يدعى المقدم هزيم الرعد .. وله شهرة يتناقلها الركبان وأهل الديار .. وهو يتقاضى أموالا كثيرة مقابل تأجير نفسه ورجاله.. وبلدته هي قرية وليست مدينة كبيرة أو مملكة ..فهو ليس بملك ..إنما هو محارب وسيد قرية ، وأكثر تجارتها بيع الخيل والسلاح .. وهذه البلدة هي التي يممم الفارسان سيرهما نحوها للانضمام لفرسان هزيم الرعد .. والحياة بكنفه .

وهذه القرية تسمى قرية القنفذ .. وهو حيوان شوكي صغير .. للقرية قصة طريفة .. ملخصها هي قرية ككثير من القرى القائمة حول المدن الكبرى والعيون المائية.. هي لم تكن تنتمي لمدينة

كبيرة لبعدها عن كثير من المدن الكبرى .. ولكن لها اتصال ببعض القرى القريبة منها والتي تتصل بالمدن الكبرى في ذاك الزمان ..

الفارس هزيم الرعد كان ابن هذه البلدة التي لم يكن عدد سكانها يتجاوز المائة إنسان .. يعملون في الزراعة لإعالة أنفسهم .. ويربون الماشية والحمير ، وما يفيض عن حاجتهم يبيعونه في المدن البعيدة عنهم أو لأهالي القرى المجاورة فمن عنده حصان زائد أو بقرة ..أو ثور أو خروف .. يبيعه ويشتري بثمنه طعاما وثوبا

دهمت عصابة لصوص القرية ذات يوم وعاثوا فيها الفساد .. ونهبوا ما استطاعوا أن ينهبوه ولم ينجو من عدوانهم إلا ما كان في البراري وشغاف الجبال .. وكان هزيم الرعد المسمى أحمد حمزة ابن عشر سنوات أو قريبا منها قد تألم من هذا العدوان الظالم على هذه القرية الوادعة المسالمة .. فهجر القرية نحو إحدى المدن وتعلم فيها استعمال السيف، وروح الانتقام ترفرف عليه.. وقضى عشر سنوات قبل أن يعود للقرية ، فوجد المزيد من الظلم والآلام ..فبدأ يختار بعض الرفاق المكلوم والراغب في الثأر .. وأخذ يعلمهم فنون القتال والطعن بالرماح والرمي بالنشاب .. ويأخذهم على الصيد لمزيد من التدريب والشجاعة .. وكانوا يعودون بصيد وفير.. فالتحق بهم فتيان أخر .. فأصبح بدون قصد سيد القرية بلا منازع .. وتعلق به الشبان وأحبوه وتزوج من فتيات القرية .. ولما سمع بوصول قطاع الطرق للقرى المجاورة .. صنع لهم كمينا وكان لهم بالمرصاد .. وفتك بهم فتكا شديدا مدويا .. وغزا مكان تجمعهم واستولى على أموالهم وبدأت العصابات تتساقط أمام رجاله وفرسانه الشجعان .. وتجمعت عدة عصابات للقضاء عليه فصدهم وكان لهم بالمرصاد .. فطار صيته بين رجال الليل واللصوص ومع الوقت زاد رجاله ومن لحق بجيشه من أبناء القرى المجاورة حتى وصلوا لخمسمائة فارس .. وابتعدت العصابات عن القرى التي يشملها بحمايته ..

ولما أدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه .. اتخذ خربة ملاصقة لبلده وأنشأ عليها قرية جديدة لرجاله أو معسكرا لهم وظلت تسمى القنفذ .

وبدأوا يؤجرون أنفسهم للأفراد والتجار والملوك .. فأصبح لهم شهرة بين القرى والمدن المجاورة .. ويطلقون عليهم جيش هزيم الرعد .. وهكذا كان أمر هذه العصابة الرهيبة وكان من أخلاقهم عدم الاعتداء على القرى الآمنة .. ولما قصد ريح البحر وهلال بلاد القنفذ كان هزيم الرعد قد شارف على الستين عاما .. كان شيخا كبيرا .

رحب الفارس الشيخ بالفارسين الشابين وضمهم لرجاله كما يرغبون بعدما قاموا ببعض الاختبارات البسيطة.. ومنها اختبارات الأمان حتى يطمئنوا من جهتهم أنهم ليسوا عيونا لعصابة أو حاكم .. ويكون ذلك بإرسالهم في مهام خطيرة قد تكلف المخاطرة الشخص حياته



قد كانت قرية القنفذ ملاذ كل فارس ضاقت به بلاده ، فسعى الفارسان نحو تلك الديار بعد أن لم يجدا لهما مكانا في بلاد القمحة وكذلك في بلاد الماعز، ولم يعد الأمير خالد بحاجة لصحبتهما ، فرحب بهما زعيم البلدة ، وضمهما لفرسانه ، وبدأ يرسلهما في المهمات الخطرة لمرافقة القوافل التي تنشد حمايته للمرور في درب معين .. وبعد حين من الزمن أدرك أحمد حمزة الملقب بين رجاله بهزيم الرعد ..أنهما فارسان قويان ومدربان أحسن تدريب وأثبتا جدارتهما في المطاردات والحمايات ، بل وجد ولمس لديهما الذكاء للقيادة والسيطرة .. وحسن التدريب هذا لمسه منهما خلال سنتين من العمل معه ومع رجاله .. ولما اطمئن أنهما صديقان لهم وليسا عدوين أو متآمرين زادت ثقته بهما.. ولذلك تقدما على كثير من رجال وأعوان الأمير .. ولذلك لما ظهرت مجموعة من اللصوص في إحدى القرى واستنجد به أهل تلك القرية .. كانوا أيضا على رأس الذاهبين للبحث عن المعتدين مع رسول تلك القرية .. ومعاقبة أولئك اللصوص التي كانت من أهم واجبات هزيم الرعد صاحب الصوت المرعب وأعوانه .. وقد

تعرض صاحب مدينة القنفذ للغدر والاغتيال أكثر من مرة من قبل الكثير من رجال العصابات ولكن الله حماه ، وانتصر على الكائدين ، واستمر في أداء واجبه وحمايته للفلاحين وأصبح اسمه

مثيرا للرعب والوهن في أوساط المجرمين ، ويبتعدون عن القرى التي تمتد إليها حمايته ورعايته حتى أن بعض ملوك المدن يحسبون حسابه ويتوددون إليه بالهدايا والعطايا.. وقد استطاع بحر وهلال القبض على اللصين اللذين أثارا الرعب في تلك القرية وأسروهما ووضعوهما أمام سيدهم هزيم الرعد .. فازداد حب الرجل لهما وازداد ثقة بهما وبإخلاصهما.. وعمل على تزويجهما بأسرع وقت من بنات أعوانه ، وشيد لكل واحد منهما بيتا صغيرا يستقر به هو وزوجته وكانت منازلهم من الطين .. وبالزواج من نساء القرية أصبحا من أهالي هذه القرية بحكم هذا الزواج وهذه المصاهرة .. ولا يسمح لهما بالعودة إلى البلاد التي جاءوا منها ، وطاب لهم العيش في رحاب الأمير الشيخ .

وأصبحا من أقرب الرجال إليه في خلال زمن يسير رغم صغر سنهما بالنسبة إليه ولمن حوله من الرجال القدماء .. وبين لهما ذات مرة أنه نكح امرأة في بلاد القمحة وأنه قام بمهمة لملك تلك البلاد وذلك قبل وجودهما على الأرض .. وعلى أثرها تزوج فتاة منهم.. ولما أنهى تعاونه مع ذلك الملك طلق المرأة التي أنجبت له طفلا واحدا ، ثم هلك صغيرا .

لقد وجد الفارسان لهما مكانا طيبا في بلاد القنفذ ، وسكنت قلوبهما لتلك البلدة الصغيرة ، وبينما هم في سعادة ورغد من الحياة أتى القرية على حين غفلة رجل مستنجدا بسيد القرية من ظلم أحد الأمراء الذي خطف ابنته رغم أنفه ..فغضب الأمير هزيم لهذا الظلم والعدوان والاعتداء على الأعراض ، واستمع لقصة الرجل بالتفصيل وكانت ...

" أن أميرا من بلاد الماعز كان مارا من قرب قرية الرجل البلدة الصغيرة ..ينشد الماء ، فشاهد الفتاة ابنة الرجل ، فطمع بها وأخذها عنوة .. فهرعت أمها صارخة بين رجال القرية .. فأسرع الرجل خلفهم لتخليص ابنته وتبعه بعض الرجال بعصيهم وفؤوسهم ..وتوقف الأمير وهدد بقتلهم جميعهم ، وكان معه عشرون من الأعوان ..فخاف وجبن أهل القرية وخاصة من كثرتهم وتسلحهم بالسيوف والرماح والخيول ، وأن الرجل احد أمراء مدينة الماعز السمرة كما أعلن أمامهم.. وظل والد الفتاة يطاردهم خفية حتى عرف بلادهم ومن هم؟! .. ثم جاء مستنجدا

بشيخ القنفذ ".

ولما ذكر القروي اسم الأمير الخاطف فإذا هو ضرغام شقيق الأمير خالد صديقهم القديم.. فزاد حنقهم عليه ولوحشيته وتعجبوا من سوء أدبه ، وخطفه لبنات الناس .. وإن كان هذا الأمر شائعا بين الناس في القرى والمدن في تلك الأزمنة .. ولما انتهى القروي من مظلمته ، نهض الفارسان بحر وهلال وتعهدا للأمير بإحضار الأمير ضرغام بين يديه مكبلا أو قتله إذا شاء الأمير أحمد حمزة ، ومن ثم إعادة الفتاة لأبيها ..وقد بينا للأمير معرفتهما الشخصية بذاك الأمير فوافق الأمير على جلب الأمير مأسورا وإنقاذ الفتاة من بين براثنه.

تنكر الفارسان بصورة أخرى، ومشوا برفقة والد الفتاة لبلاد الماعز .. للبحث عن ابنة القروي ولسوف يلحق بهما عشرة فرسان بعد عشرة أيام ينتظرونهم عند قرية معلومة لهم .

قطع الرجال الثلاثة المسافات من الوديان والتلال حتى دخلوا بلاد الماعز التي يعرفها الشابان معرفة جيدة .. لقد عاشا بين سهولها ووديانها وجبالها عامين .. والذي فاجأهما بعد وصولهما إليها أن ملكها الملك رضوان الذي كانا يعرفانه قديما بالأمير رضوان والد صديقهم خالد .. وكان من أخبار ذلك أن الملك سيف قتل غدرا على يد زوجته ابنة عمه بهاء التي سقته السم انتقاما لأمها وأبيها ، وذلك تآمرا مع أخوتها، انتقاما من عمهم الملك الهارب رياض ..فجاء الملك الحصان مرة أخرى مصلحا للأمور، وعين الأمير رضوان ملكا على البلاد إرضاء لقومه لأننا قد ذكرنا أن الأمير بهاء كانت برد إحدى زوجاته وهي ابنة الملك الحصان .. وكان موتها على أيدي اللصوص سببا لتدخل الملك الحصان في بلاد الماعز .. ووضع رضوان أخ الملك رياض ملكا إرضاء لعشيرته الوعل لبقاء الملك في تلك العشيرة .. وعلموا أيضا أن الأمير خالدا في صراع شديد ورهيب مع أخيه ضرغام من أجل ولاية العهد .. وأن الوالد يقف مع ضرغام مع أنه أصغر من خالد بسنة قد تزيد قليلا .. وضرغام ما زال يسيء ويشنع لأم الأمير خالد رغم زوال عدد كبير من السنوات على تلك الفرية.. وقد علموا أن الأمير كاد يصرع أخاه أكثر من مرة من غضبه لأمه.. وعوقب بالسجن بضعة أشهر .. وضرغام ازداد حقدا على أخيه

بعد الإهانة التي لحقت به من ريح وهلال ..وقتلهما لأحد أعوانه .

هذا ما علم به الشابان وهما يبحثان عن ابنة القروي المخطوفة .. وأشفقا أسفا على وضع صديقهما وعداء قومه له.. وقد أبعد عن ديوان الحكم والسلطان ، وأن أخاه هو السيد الكبير في الديوان ، ويتدخل في شؤون الحكم والسيادة ، وصاحبهم في عزلة خوفا من الاحتكاك بأخيه .. فزاد حنينهما على صديقهما من بغض ضرغام في قلبيهما، واعتبرا في هذه المهمة التي جاءا من أجلها أن فيها خدمة لصديقهم الضعيف .

وعلما بعد البحث والتفتيش أن الأمير ضرغاما اتخذ من ابنة القروي عشيقة وخدن ، وأسكنها في بيت يخصه على أحد أطراف المدينة .. فصنعا له كمينا بالاتفاق مع الفتاة التي سعدت برؤية أبيها وذرفت الدمع بين يديه ورحبت بفرح بالهرب معهم .. وتم أسره بسهوله ، وهو قادم إليها لقضاء شهوته ذات ليلة.. وكماه وهو وأحد رجاله أو حرسه ، وساقوهما إلى المكان المتفق عليه بينهم وبين رجال هزيم الرعد .. وكان أسره سهلا بالنسبة للفارسين المتمرسين على المغامرات والأسر والخطف .

وظلا على تنكرهما، وعادا لمدينة الماعز ليرصدا ردة الفعل ، وتابع رجال القنفذ سيرهم بصيدهم لبلادهم بلاد القنفذ ونبذوهما أمام الأمير هزيم الرعد .



ضرغام

ذهب رفاق الأمير ضرغام إلى بيت ضرغام الذي يضع فيه أسيرته ، ففوجئوا بخلائه من الأمير والفتاة ، وهو قد واعدهم اللقاء في بيت الفتاة ، فاحتاروا بخطوتهم التالية ، فانسل أحدهم إلى قصره سائلا عنه ، فعلم من حرس القصر بأنه لم يبت الليلة في القصر ، فعاد لرفاقه مؤكدا لهم أن الأمير غير موجود في قصره .. ولابد أن شيئا عرض له .. لخلاء البيت منه وهم ودعوه ليلة أمس عندما اقترب من البيت .. فترتب على هذا الاختفاء إيصال الخبر للملك رضوان .. فدخلوا على الوزير عنان وأطلعوه على قصة الفتاة التي اتخذها الرجل خليلة ، بعد أن خطفها من والدها فانزعج الوزير مما سمع وخشي على حياة الأمير ، وصعد لديوان حكم الملك وساره باختفاء الأمير المفاجئ.. وروى له قصة الجارية المخطوفة .. فاستشاط الملك غضبا لفعلة ابنه وعدم إخباره بهذا الموضوع ، ولما صفا ذهنه قال لرفاق ولده : أنتم ترون أن أهل تلك الفتاة هم الذين خطفوه أو اغتالوه لاختفاء الفتاة من بيتها ؟

فقال أحدهم : هذا ما نرجحه يا مولانا الملك .

وأيد الرفاق كلام رفيقهم ، وفاجأهم الملك قائلا : أمتأكدون أن ليس للأمير خالد يد في هذا الشأن ؟!

فهتفوا في دهشة ؛ كأنه غاب عن بالهم العداوة بين الأميرين فقالوا معا : خالد !!

لقد أصابهم الذهول والتردد ، فهم ربطوا الخطف بأهل الفتاة لاختفاء الفتاة وقال أحدهم : ما علاقة خالد بالفتاة يا مولانا الملك ؟!

فلما رأى الحاكم استغرابهم قال : حسنا ! .. أتعرفون القرية التي خطفتم البنت منها ؟

ـ نعم ، نعرفها يا مولانا الحاكم .. ونحن نصحنا الأمير بترك تلك الحسناء، وأن نساء بلادنا كثيرات وأجمل منها .. ولكنها حسنت في عينيه .

ضحك الملك وقال : لا داعي للتبرير ..المهم نرجو أن يكون الأمير حيا ..أرسل أيها الوزير أحد القادة مع هؤلاء الأبطال لمنازل تلك الفتاة .

واستدعى الملك بعد انصرافهم الأمير خالدا ، فلما لبى النداء قال له الملك والحنق باد على محياه : أخوك اختفى يا خالد !

قال الشاب باستغراب واضح : اختفى !!

ـ ربما قتل أو خطف .

ـ قتل !! لا تتهمني يا مولاي بشيء .. إنه أخي .. لا علاقة لي بأمره يا مولاي .. وأنا منذ أخرجتني من السجن وأنا أتحاشاه .. وأقضي وقتي في مطاردة الغزلان والوحوش والطير في الوديان والغابات .

وغير الملك القضية فقال : ألا ترغب بزيارة أمك ؟

ـ أرغب ؟! .. ما الحكاية يا مولاي ؟! أتريد طردي ؟

ـ لا .. ولكني أفكر بإرسالك لزيارة أمك وأخوالك .. وأن تأتيني بأخيك يزيد .. لديّ رغبة برؤيته قبل موتي .

ـ أخشى أن افشل في هذه المهمة يا أبي الملك .. فأرسل الأمير ضمضما فهو أمير جليل ورسول وديع .

ـ ضمضم !! ابن عمي .. إنك تفكر جيدا أيها الأمير .. ضمضم رسول وديع .. وبعيد عن الحكم .. أيرضى أخوك بالمجيء ؟

ـ السنون تغير الناس ..هل تحب أن أشارك في البحث عن أخي المفقود ؟

ـ لا داعي ، لقد خطف اللعين فتاة من إحدى القرى التي مر بها، وهو يطارد الصيد وأسكنها في بيت عشقه .. فلابد أن أهلها مكروا به .. فهو يحسب أن كل صيد يكون سهلا .. وأن الكثير من الناس يحسبون لملك أبيه شيئا ..فأرسلت إليهم القائد عجاجا .. وأمرته بتدمير القرية على ساكنيها إن عادت الفتاة إليهم واختفى ضرغام.. ليت له صفاتك لجعلته وليا للعهد .. اذهب وأرجو أن لا يكون لك يد في الجريمة.

ـ اطمئن يا مولاي ..أنا أحببت العزلة والصيد ..لا أريد الحكم ولا السلطان .

ـ وهل أنا كنت أريد الحكم والسلطان يا خالد ؟! وأعرف أنك جبان وتخاف الصراع والقتال

وبالطبع لم يرد خالد ، لزم الأمير الصمت على تجريح أبيه لكيانه وطأطأ رأسه حزنا، وبعد أيام رجع رسول من القائد عجاج مخبرا للوزير عنان : إن الفتاة عادت لقرية أبيها ، وإن الأمير المخطوف حي وأسير في بلدة القنفذ لدى الزعيم هزيم الرعد .

وأصاب الملك رضوان الخوف والجزع على ولده ، فهو قد سمع بقوة هذا الشيخ ، واحترام الملوك له واستعانتهم بقوته وبرجاله الأشداء .. وعلم الملك من وزيره أن القروي بعد خطف ابنته ذهب مستنجدا بذلك الفارس ، فأرسل بعضا من رجاله

وخطفوا الأمير وبعض حراسه، وأعادوا الفتاة القروية لأهلها .

فقال الملك لوزيره : هذا رجل معروف بالشراسة ، إنني أذكر فعاله من زمن أبي شامخ ..لا أدري لماذا تهابه الملوك؟! أتدري أنت ؟

ـ أدري أيها الملك السعيد.. لأنه نصير الضعفاء من بني آدم.. ولا يتدخل في شأن الممالك .. ونذر حياته لمطاردة اللصوص .

ـ وهل أنا ظالم يا وزيري؟!

ـ لست ظالما يا مولاي .. ولكن ولدك لم يحسن اصطياد فريسته هذه المرة .. والأمير أصلحه الله يثير المشاكل والمنازعات ، ولا يهمه علاقات المدينة بالمدن الأخرى .

ـ رغم قسوة ردك يا وزيري .. أنا أقر بما تفوهت به.. وعجزت عن إصلاحه .. إنه ولدي .. وأحسد الأميرة صيدا على تربية ولدنا خالد .. لقد تربى في بلاد العدو ولكنه إنسان صالح .

ـ يا مولاي هم ليسوا أعداء ..نحن اتهمنا تلك المرأة .. وانتهى ما بيننا .

ـ إنك تقسو عليّ يا وزيري .. للصبر نهاية ..

ـ أنا لا أقسو عليك أيها الملك السعيد .. ولكني أحب الحق وإن كان قاسيا .. وأبوك الملك شامخ كان يعلم براءة تلك المرأة ، وحدث أبي بذلك، وحدثني بذلك .. فماذا ستفعل لإنقاذ الأمير؟

ـ ماذا تظن أنهم فاعلون به ؟

ـ أخشى على حياته .. فهذا الرجل عدو للظلم .. وحدثت عنه كثيرا .. وفعلة ابننا شنيعة لا تليق بأبناء السادة والملوك ..

ـ أنقبل الفدية ؟!

ـ أظن أنه سيقبل إذا أحسنا الاعتذار معه .

ـ ولماذا لا نرسل كتيبة تدمر بلاده على رأسه ؟! ..إنك تخوفنا منه أيها الوزير .

ـ نحاربه!! .. يا مولاي .. بلدته بعيدة.. وهو لا يملك جيشا كبيرا ، وليس بصاحب مملكة .. ولكن رجاله أشاوس يحبون القتال ولا يهربون .. ولهم قدرات على الاغتيال والمطاردة .. وها أنت علمت ما حل بالأمير ضرغام .. ولم يُشعر بهم .. سأرسل إليهم وفدا من سرية القائد عجاج بن رباح .. وأطلب منه مسالمة أهل القرية وتطييب خواطرهم .. لأنهم في حمايته .

ـ لقد جعلته ندا للملوك يا وزيري !

ـ إنه مخيف حقا يا مولاي .. وبلادنا في قلاقل لا داعي لدخول حرب وعداء مع هذا الرجل وأعوانه .

ـ حسنا أيها الوزير .. كلي ثقة بك وبعقلك ..افعل ما تراه مناسبا .. واعلم أن الأمير إذا أصابه موت .. عليك تدمير تلك القرية عن بكرة أبيها ..

ـ الأمر ليس سهلا يا مولاي .. قد حاول ملك أن يفعل ذلك .. فقتل وقتلت أسرته ورجاله من فرسان ذلك الرجل .

ـ أمعقول هذا؟! أأنت معنا أو معه؟!

ـ معقول يا مولاي .. فهذا الرجل اليوم ينوف على الستين ، وما زال رجلا شجاعا يهاجم ويطارد .. وسيرته تملأ الأمصار

ـ إنك تثير قلبي وحقدي عندما تتحدث عنه يا وزيرنا .. وتدفعني لشن حرب ساحقة عليه .

ـ هذا الحق يا مولاي .. أتريد أن أغشك وأداهنك؟

وفد الماعز

وصلت أوامر الوزير عنان لقائد السرية عجاج بن بلال ، فاختار وفدا مكونا من عشرة رجال ليذهبوا إلى بلاد القنفذ ، وكان قد أوفد رسولا لهزيم الرعد ممهدا للوفد .. وسار القائد بنفسه لبلاد القنفذ على رأس الوفد .

كان الأمير ضرغام ورفاقه الثلاثة محبوسين في أحد الكهوف .. وعلم بوصول وفد بلاده للمفاوضة بشأنه.. فسر لمعرفتهم بمكانه ومكان أسره .. ولما وصل الوفد المفاوض، وعلم هزيم الرعد الغاية من مجيئهم ، وأنهم يبغون السلام وليس التهديد والقتال ، طلب الأمير بإحضار الأسرى للخيمة الواسعة التي يتخذها أحمد حمزة للحكم والقضاء والتي أهديت له من أحد ملوك الأرض .. فأعجب بها وأصبحت مقرا للحكم والسلطان .. ولما أحضر الأسرى وكانوا في غاية الذل والامتهان قال هزيم : تكلم أيها القائد أمام ابن ملكيكم .

تنحنح القائد وسعل لحظات ثم قال : جئنا أيها الأمير إليك رغبة في السلامة والاعتذار عما فعل هذا الأمير الطائش .. واعلم أن الملك رضوان لم يعرف بفعلته إلا عندما اختفى الأمير.. ونحن مستعدون لكل عوض عما أساء به الأمير إليكم من إزعاج مقامكم ومن إساءة لوالد الفتاة وللفتاة نفسها .

فلما سكت القائد وأشهر اعتذاره قال أحمد حمزة : جميل أن تتكلم بهذا الكلام أيها القائد الشجاع ونحن نعلم أن الفتاة الطاهرة قد اغتصبت رغم أنفها ولن يفيد الاعتذار لم حل بشرفها وشرف أبيها.. وأنا كنت مصمما على قتل هذا الأمير .. للظلم الذي أحاق بالفتاة وأهل تلك القرية التي تشملهم حمايتي .. ولكن وضعت اعتبارا للملك رضوان وعدم الرغبة في نشر العدوان بين بلدينا .. وبما أنكم دستم ترابنا وأخذتم الأمان منا.. واعترفتم أن الفتى طائش لا يقدر قدر فعلته القبيحة .. وتحبون السلام مثلنا وتقرون أن هذا من الظلم والعدوان ونحن نصراء الضعفاء والمظلومين ..فسنقبل شفاعتكم ونعالج الأمر .

قال القائد عجاج : أمرني الوزير الأكبر في بلادنا في قبول كل شروطكم .. وما تقضي به علينا

أيها الأمير من العدل علينا أن نسلم به .

وكان الأمير ضرغام يسمع هذا الكلام من القائد وهو يتمزق من القهر والغل ، وفي نفس الأمر يعجب من قدرة هذا الرجل الجالس على الأرض في هذه الخيمة ، ويثير الخوف لدى وزير أبيه، وربما أبيه أيضا .. فهو أول مرة يراه منذ رماه في الكهف .. ولكنه كظم قهره ، وتذكر أنه ما زال مكبلا وبين يديه .. وسمع الأمير يرد على القائد : أهلا وسهلا بالقوم .. ونحن وأنتم نعلم ونقر أن الأمير ارتكب جريمة كبرى في حق هذا الرجل الضعيف الفلاح المسكين ـ وأشار إليه ـ وأن الأمير اتخذ الأسيرة عشيقة وخدنا له .. فأقضي بأن ينكحها الأمير علنا ، ويشهر هذا في بلادكم وفي قرية الفلاح .. فإذا وافقتكم على ذلك فاقبل العفو عن رجالكم

فأحنى القائد عنقه وقال متفاجأ: هذا الأمر ليس لي يا سيد الوادي .. فهو للملك رضوان ووزيرنا عنان والابن هذا .

نهض الأمير قائما ووقف جميع الحاضرين إلا الأسرى المكبلين وقال هزيم الرعد : يتزوجها زواجا صحيحا.. وتخطب من قريتها .. ويعرف القاصي والداني في بلادكم أنها أضحت حليلة للأمير ضرغام .. فانصرفوا لبلادكم متشاورين ومتناصحين .. ثم عودوا إلينا بما يناسبكم .

ـ والأسرى ؟

ـ سيبقون في المغارة ، ولن يضيرهم بضعة أيام أخرى.. وخذوا حاجتكم من الطعام ودعوا بلادنا قبل غروب الشمس .. ننتظر رسالة تأتي بالقبول .. فينصرف الأمير إلا بلاده .. وعندما تصلنا أخبار الزواج ينتهي الشر الذي نشب بيننا وبين بلاد الماعز السمرة .

أخذ الرجال الأسرى إلى الكهف مرة أخرى ، بعدما لم يتم الإفراج عن أشخاصهم ، وغادر الوفد بلاد القنفذ وهم في غم وهم ، وكانوا يظنون أنهم سيدفعون بعض المال للقروي ولهزيم الرعد وينتهي الخطب .. ويرجعون بالأمير .. أما الزواج فلم يخطر على بالهم .

موقف الملك

أدخل الوزير عنان القائد عجاجا على الملك، فقص عليه مطلب أمير بلدة القنفذ ، فلما سمعه استشاط غاضبا صارخا في وزيره : ابني الأمير!.. ابن ملك هذه الديار! .. ابن الأشراف يتزوج قروية .. فلاحة !.. لا يمكن أن يحدث هذا أيها الوزير .. هذا الرجل وقح ، ولابد من مسحه من الوجود ..لابد من قتله وسفك دمه ..

ولما انتهى الملك رضوان من السب والشتم واللعن تلفت الوزير يمنة ويسرة وقال : اهدأ أيها الملك السعيد .. ولا تنسى أن الأمير بين يديه ..سأحرك الجيش لغزو بلاد القنفذ .. لكن أحب أن أقدم لمليكي النصح والتذكير .. إن هذا الرجل له أصدقاء من الملوك فقد يحرضهم علينا .. وتكبر وتعظم المعركة هل نحن مستعدون لذلك ؟!

فعاد الملك للصياح والقذف: أتخذلنا بدل أن تشد عضدنا ؟

ـ يا مولاي الملك!.. أنا كنت أعتقد بأن ندفع بعض المال لهم .. وتنتهي الحكاية .. ولكن اعلم أن هذا الرجل قضى وحكم ولا يمكن أن يغير حكمه إلا إذا انهزم .. ومنذ بدأت أسمع أخباره ومغامراته وهو الفارس المنتصر

فعاد الملك يصيح ويصرخ في وجه وزيره ويقول: أمير ملكي يتزوج قروية! كيف نسلم بهذا ؟ الحرب أيها الوزير الخانع .

ـ حسنا أيها الملك ..سأدخل عليك قائد الجيش .. فاطلب منه ذلك .

ـ بل تبقى ـ وضرب على مائدة ـ فدخل أحد الخدم سريعا وهو يهتف : مولاي !

ـ قائد الجيش .. فليدخل .

بعد حين يسير وصل قائد الجيش وأدخلوه على الملك ، وصارحه الملك بما يطلب هزيم الرعد وختم كلامه قائلا : هذا الزواج لا يصح أيها الأمير القائد .

تطلع القائد بعيني الوزير للحظات ، ثم قال : معك حق يا مولاي أتريد أن نغزو بلاد القنفذ ؟

ـ أجل وبأسرع وقت.. وأن يؤتى بالرجل مكبلا بالقيود ليعدم هنا في بلادنا ليعلم اللعين كيف

يتطاول على أبناء الملك ..

ـ لا بأس أيها الملك ! ولكن الأمير أسير بين أيديهم .. فإذا سمعوا بزحف أبطالنا فسيقتلونه بلا هوادة .. لن ينتظروا حتى نصل إليهم .

وضع الملك الغاضب الساخط يده على رأسه وقال : القهر .. الغضب أنساني ذلك اللعين .. لقد ذلني.. ذل أباه .. ونظر للوزير وقال : ما العمل أيها الوزير؟

الوزير: ليس لدينا سوى تحقيق رغبته بزواج ابنكم من القروية .

فقاطعه غاضبا وصاح: موت الأمير خير من الزواج !.. اخرج أيها القائد وأتني برأس ذاك الصعلوك ..

وانتشر خبر الحملة التي سيقودها الأمير نعمان بن سعد إلى بلاد القنفذ لتدميرها .. وحاول الوزير بعد أيام ثني الملك عن خسارة ابنه .. فرفض وأصر على القتال ..

نقل الفارسان بحر وهلال خبر هذه الحملة للملك القنفذ .. فأمر رجاله بالاستعداد للقاء الحملة، وكلف الفارسين بصنع كمين لفرسان الماعز ، وأرسل إليهم مائتي محارب.. وطلب الأمير هزيم من بعض الملوك المتعاونين معه بمده بعدد من جنودهم .

وتقدم ريح البحر وهلال ورجالهم لملاقاة الأمير نعمان ، ورأوا أن يلتقوا بهم في واد حتى لا يلتقوا بسهل واسع ويستفيدوا من كثرتهم ..وفعلا التقى الجيشان في واد اختاره ريح للمعركة.. ودارت معركة فاجأت الأمير نعمان وفرسانه .. مما جعلهم في موقف دفاع وتقهقر وجرح قائدهم نعمان .. وظلوا في اندحار يوم وليلة .

ولما رأى الأمير ضعف رجاله وكثرة جراحهم أمرهم بالعودة للبلاد ..ولما دخلوا المدينة كانوا في حال يرثى لها .. وأصيب الملك بالذهول لمقتل عدد من فرسان المدينة وتألم لجرح الأمير نعمان وجاءته الأخبار بأن هزيم الرعد يتصل بالملوك ليغزو بلاد الماعز .

فلما أدرك الخطر المحدق بمدينته ، طلب من وزيره بالسعي بنفسه لهزيم الرعد لتصحيح الأوضاع ، وأنه سينفذ شرطه بزواج ابنه من القروية .

ساق الوزير وفدا من سادة المدينة بعدما أرسل رسولا يسبقهم لهزيم الرعد، وأخذ معه العطايا..

سر الأمير أحمد حمزة لهذه النتيجة وزاد اعتمادا وثقة بريح وهلال.

وصل الوزير عنان بلحمه وشحمه للاعتذار والصلح ، وأعلن لهم موافقة الملك على الزواج وعلى دفع الأموال لأسر الرجال الذين قتلوا من رجال القنفذ .. وقرأ على الملأ رسالة الملك رضوان التي يوافق فيها على شروط الأمير هزيم الرعد.. وجيء بالأمير الأسير ورفاقه.. وأطلق سراحهم وسلموا للوزير الأكبر.. وقال وهو يودعهم: أرجو أن نسمع أخبار هذا الزواج .. قبل أن يعود هؤلاء الجنود لبلادهم ومدنهم .

وفعلا قد وصل للبلاد ما يزيد عن ألف فارس أنجده بهم أصدقاؤه الملوك .. ولما انصرف الوزير أكرمهم بالهدايا والعطايا وصرفهم لبلادهم .. فإن بلاد القنفذ لا تستوعب كل هؤلاء الجند لفترة طويلة .. خاصة الأقوات اللازمة لهم .

وقد كان في هذه المعركة قد قتل زوج إحدى بنات الأمير هزيم .. الفارس ساب .. فلما هدأت الأحوال ، وعاد الصفاء للبلاد طلب الأمير من ريح البحر الزواج من أرملة ساب.. وهي تكبر ريح بسنوات ولها أولاد من ساب.. فقبل ريح الاقتران وقال: على الرحب والسعة .. وهذا شرف كبير يا سيدي الأمير!

وابنة هزيم الأميرة شام أنجبت لساب خمسة أبناء، بعضهم في سن الزواج ..وكذلك باقي الأرامل زوجت من فرسان الأمير.. هذه عادة متبعة عندهم من يقتل أو يموت تتزوج أرملته بأسرع وقت إلا إذا أبت هي نفسها ورضيت بالعيش بدون زوج .

وبعد زواج ريح من ابنة الأمير عرض عليه زيادة فرسان البلد .. وزيادة أراضي القرية أو إنشاء قرية أخرى.

وجاءت الأنباء بزواج الأمير ضرغام من ابنة الفلاح زواجا شرعيا .. وأصبحت تلك الفتاة

المظلومة أميرة من أميرات بلاد الماعز رغم أنف الملك رضوان بن شامخ ورغم أنوف كل قبيلته قام بحر بالبدء بإنشاء قرية جديدة سماها هزيم الرعد .. وانتقل للحياة فيها هو وهلال وبعض فرسان الأمير .. وبدأ يستقبل المزيد من شباب القرى المجاورة ويدربهم على الفروسية كما تعلم في حصن التدريب ، وكما فعل هزيم قبل العقود .. ونشطت الحركة في القريتين بتوافد الفتيان من القرى للخدمة في جيش هزيم الرعد .. وزاد عدد الأسر التي رغبت بالحياة في بلاد القنفذ ففي خلال خمس سنوات انقضت وصل رجال هزيم إلى ألفي فارس .. وقد ظهرت همة ريح البحر وهلال خلال هذه السنوات في تجنيد الشباب الصغير وتدريبه ..

وقد سعد الأمير هزيم بهمة صهره ، وأعجب به غاية الإعجاب وذكره بأيام شبابه ، ولذلك وهو على فراش الموت جمع قادة وعرفاء رجاله ونعى لهم نفسه ، وألزمهم بطاعة زوج ابنته شام أميرا عليهم ، وعليهم أن يسلموا إليه القيادة ويطيعوه كما كانوا يطيعونه .. وأثنى عليه الثناء الحسن وأنه أهل للقيادة والرياسة .. وذكرهم بمبادئه التي أقام عليها هذه القرى .. بنصر المظلوم والتعاون مع الملوك العادلين ومحاربة اللصوص وقطاع الطرق .. وحماية المستجير والضعيف ، وعدم الاغترار بالقوة وحدها ، فالعدل هو سبب النصر والحكم السليم



هزيم الرعد

هزيم الرعد أمير مدينة القنفذ .. منذ أن عاد للقرية حاملا لواء العدل ونصرة المظلوم ومطاردة اللصوص والمجرمين وهو يحقق ذلك ، وحقق انتصارات تروى في بلاده .. وزاد أنصاره وأعوانه والمهاجرين إليه.. واستطاع أن يصاحب الملوك والتعاون معهم في رفع الظلم ورد كيد الطغاة ، ومغامراته الجريئة كانت شائعة بين الناس ..وهو في نفس الحين رجل مسالم لا يحب الاحتكاك بالملوك والسلاطين خوفا من تقلباتهم وجورهم .

وكذلك كانت العصابات تبتعد عن القرى المشمولة برعايته وحمايته ..فلا تكاد تخلو قرية من القرى القريبة منه إلا وبعض شبابها ورجالها يعملون تحت زعامته .. فكل من أحب الفروسية والقتال لحق بجيش هزيم .. وقضى الرجل ما يزيد عن أربعين عاما في معاركه وتوطيد حكمه ورغم تزوجه بعدد كثير من النساء لم يعش له سوى ثلاث فتيات .. كلهن تزوجن قبل مجيء ريح وهلال للانضمام لجيشه الصغير ..ولما ترملت شام أنكحها لريح ، وأنجبت منه ثلاثة أطفال ولما أحس الأمير بالموت ودنت ساعة الرحيل عن ظهر الأرض والسكن في بطنها.. قدم بحرا أميرا وزعيما لقريته أو مدينته ..وبايع القوم ريحا أميرا عليهم رغم صغر سنه عن سن بعض رفاق هزيم .. ولكن وصية وعهد الرجل كانت دينا ، وكذلك لأنه زوج ابنة سيدهم .

وأظهر ريح وصاحبه هلال قدرة كبيرة على الزعامة منذ هبطا على القرية.. بإنشاء القرية الجديدة وزيادة عدد الجيش، وزيادة العائلات في القريتين ، وأصبحت بلاد القنفذ تشمل قريتين كبيرتين مما دفع أهل القرى المحيطة بها بإتخاذها مركزا لتبادل السلع والتجارة .. في المواسم والفصول .. وبارك الأمير خطوات ختنه وأعجب بطموحه وقرت عينه به .. وساره الأمير بإعجابه وحذره من الغرور ومن الحساد .. ونبهه على حسن اختيار حراسه ومعاونيه .. وحثه على إبداء محبته للجميع ..ونبهه إلى تقلب النفوس وغيرة الشجعان ..وبعد رحيل الأمير هزيم سمى أصحاب ريح البحر الأمير الجديد بالبحر بدون ريح .. وقبل منهم حذف جزء من لقبه .. فأصبح يقال " الأمير البحر" .. ووثق البحر صداقته بالشيوخ أصدقاء هزيم وقربهم من مجلسه وكذلك

الكهول .. وكان يقدمهم في المشورة ويتحادث معهم بشأن القوم والجماعة .. ويعمل بنصائحهم قدر الإمكان.. وكان يثير في الشباب روح المغامرة، ويرسلهم للصيد ومطاردة الحيوان .. وظلت قبضته قوية على اللصوص الذين حاولوا جس نبضه بعدما سمعوا بموت هزيم ، واعتقدوا أن خليفته لن يكون بعنفه وقوته.. ولكنهم وجدوه أشد بأسا من حميه .. وعادوا للابتعاد عن دائرة سيطرته .. وعدم التعرض للقوافل التي تلجأ لحمايته ويرافقها فرسانه .. وكان كلما زار قرية أو مرّ منها استقبله الناس استقبال الأبطال، وكما كانوا يستقبلون هزيم الرعد .. بل اعتقدوا أن هزيم الرعد لم يمت، وأنه ما زال على قيد الحياة .. وشكروا الله ﷻ لاختيار هزيم الرعد هذا الفارس زعيما عليهم .

وكان البحر لا يبخل بمد العون لملوك المدن الكبرى في تحقيق العدالة والأمان ورد المظالم إذا وثق من المقصد .

وأذن الأمير البحر لبعض رجاله بالعمل بالتجارة .. واتخذ مكانا وجعله سوقا تتوافد إليه التجار وسمح ببناء الخانات .. فبعد حين أصبحت هذه المحطة ممرا للتجار وتبادل السلع كان الأمير يسعى لأن تصبح بلاد القنفذ مملكة كسائر المدن المحيطة بها .. وهو لم يكاشف أحدا بهذا الحلم ولكن الأحداث تسير إليها .. وبعدما نجحت قريته التجارية .. اتخذ قرب أحد الأنهار قرية أخرى لتجارة اللحوم والأسماك ..وجعل لها ميناء للمراكب الصغيرة .. وكان يدير هذه الأماكن رجال مخلصون له .. وكثرت القوافل التي تدخل هاتين القريتين التابعتين لبلاد القنفذ وأهل قرية القنفذ نفسها وقرية هزيم لم يتأثروا بالمدن التجارية التي تم إحداثها فبقي أهلها على عاداتهم وتقاليدهم السائرة بينهم ..ونشط عمل الزراعة فيهما وامتد لأراضي أخرى .. وكبرت تجارة الخيول التي كانت تشتهر بها مدينة القنفذ ..ولكنه سمح بتحديث العمران في قرية القنفذ فظهرت البيوت الحجرية الكبيرة ..وأخذ الأمراء والسادة ينشئون القصور الصغيرة .. وشيد قصرا للحكم ..وترك الناس الكهوف والمغارات .. واتصلت القرى التي عمرها البحر ببعضها بالعمران ..وزاد أفراد العسس والحرس في المدينة لفض المنازعات والمشاجرات، واستحدث

نظام القضاة .. وزاد أعداد الجيش وعملت له نقاط كبيرة حول المدينة ..

كبرت البلاد على عيني ريح البحر ..ولاقى استحسانا من حاشيته وفرسانه ورجال هزيم الرعد الكبار ..فلمس أصدقاء هزيم قوة في صاحبهم وجرأة ، فكانوا يثنون على هزيم بحسن تسييده لهذا الشاب وهم الكهول والشيوخ ..وما انقضت عشر سنوات على موت أحمد حمزة حتى أصبح جيش المدينة يقارب الخمسة آلاف فارس .. سوى العسس .. وزادت الأسر والأولاد والأحفاد .. فشكر الرجل ربه على ما وفقه إليه .. وما زالت شجاعة الرجل تترك أثرها في القرى والملوك المجاورين .. وما زال الأمان والعيش الحسن يخيمان على البلاد والعباد حتى أصبحت خمسين قرية حول المدينة تخضع لبلاد القنفذ .. وحتى أصبحت بعض القرى الخاضعة لبلاده تلاصق مدنا كبرى وممالك أخرى ..

وظل البحر محافظا على تدريب الجند ، ويتعرضون لتدريب قاسٍ وحاسم .. ومن يلتمس به ضعف أخرج للعمل في التجارة أو الزراعة .. ودخلت صناعة السيوف والخناجر المدن التجارية وكذلك الحرف النجارة والحدادة كبرت وزادت في البلاد .. البلاد تسعى لتكون مدينة كبرى ومملكة ناشئة جديدة .

كانت العدالة سائدة في جميع القرى التي خضعت لحكم الأمير البحر ..وذات ليلة حدث حدث خطير في البلاد .



بلبل

كان لريح البحر مولودا من الزوجة الأولى التي اقترن بها عندما استقر به المقام في بلاد القنفذ بأمر من هزيم الرعد سيد البلدة ، وقد اقترب هذا المولود من العشرين سنة ، وكان فارسا شجاعا اسمه بلبل ، فهذا الفارس رافق جماعة من فرسان البلاد في مطاردة الوحوش في أحد الوديان القريبة من بلاد القنفذ ، وقد صحبهم في هذه المطاردة مدرب بلبل وعشرة رجال .

وبينما القوم على غدير ماء معروف لهم يستريحون من مطاردة الظباء والوحش أحاطت بهم على حين غرة عصبة من الرجال ، وسلبوا خيلهم وسلاحهم الملقى على الأرض ، وقتلوا واحدا منهم ، وأخذوا بلبلا أسيرا معهم ، واختفوا في الغابات المحيطة بالوادي .

ورجع الرجال الناجون وهم في وضع سيء لبلادهم ، وأخبر الأمير بالحادثة ، فاجتمع الأمير البحر بقادته الكبار وقال لهم مستنكرا : هل ضعفنا أيها القادة ليتجرأ علينا رجال العصابات؟!

بما أن بلبلا ابني أسيرهم سأخرج لهم بنفسي ، وسيكون نائبي على البلاد والعباد الأمير هلال .. وعليّ أن أحضرهم ليصلبوا هنا ليكونوا عبرة لمن يتطاول علينا أبد الدهر .

وخرج الأمير بخمسين فارسا يتتبع أثر اللصوص ومعهم قصاص الأثر .. وهم لهم قدرة على المطاردة والتتبع .. فمضى الشهر الأول عندما علم الأمير أن بغيته نزلوا بلاد الماعز .. فعادت به الذكرى لتلك البلاد عندما وطئها أول مرة .. ثم تنكر الأمير على هيئة متسول ، ودخل المدينة متعسعسا .. واستطاع بحيلته وذكائه المتقد أن يصل إلى العصابة .. ويعلم أن الذي أرسلهم لبلاد القنفذ الأمير ضرغام .. فقد التقى هذا الأمير في إحدى مغامراته بعصابة سنج واجتمع برئيسها " برسوم ".. وعقد معه عقد تعاون .. وكلفه بغزو بلاد القنفذ .. ووافق برسوم السندي على خدمة الأمير ضرغام .. ولما صدف وأن حاصر برجاله فرسان بلاد القنفذ ووجد بينهم ابن سيد البلاد .. فرح بذلك واعتبره صيدا كريما فأسره .. وصرع رجلا منهم ونهب خيولهم وأموالهم ، وعاد بذلك لضرغام الذي كاد أن يطير من الفرح بهذا الأسير، ووهبهم المال الكثير .. وأحس أن ساعة الانتقام لأسره في بلاد القنفذ قد دنت .. وتمنى لو كان الأسير من

أبناء وذراري هزيم الرعد ..استطاع المتسول بحر أن يعلم هذه الأخبار بدهائه وفطنته.. ولما انتهى من معرفة ما يريد .. عاد إلى حيث ترك فرسانه ، وذكر لهم ما علمه ، وعقد مجلس شورى بينهم .. فوضعوا خطة لخطف ضرغام .. وخطة لإنقاذ ابن الأمير .. وخطة لخطف برسوم السندي .



دخل الأمير بحر بلاد الماعز مرة أخرى، وتبعه بعد أيام عشرة فرسان متفرقين .. وبعد أن استقروا في المدينة بدون أن يلحظ أحد دخولهم ، اجتمعوا وشروا بعض الخيول وهيئوها للخطة الأولى ..وذات ليلة والأمير ضرغام عائد لقصره من سهرة أو حفلة من حفلاته اعترضه ثلاثة رجال وقتلوا حارسيه أو جرحوهما وكمموا الأمير بسرعة البرق ، وسيق إلى بيت العصابة ، وخرجت به مجموعة ثانية إلى خارج المدينة .. ثم رُحل إلى بلاد القنفذ مخفورا .

ولما علم الملك رضوان بما حدث لولده أدرك أن الأمير رُحل لبلاد القنفذ، والسبب أن الوزير عنان أعلم الملك بفعلة ابنه بعد أن اطلع على قصة خطف ابن أمير مدينة القنفذ خليفة الأمير هزيم من قبل أعوان الأمير ضرغام ، وتألم الوزير لتجدد الصراع بينهم وبين بلاد القنفذ .. والملك نفسه انزعج ؛ ولكنه لما علم بهلاك هزيم الرعد ارتاح قلبه قليلا ، فقال لوزيره بفرح مشوب بالحذر: مات إذن ذلك الرجل المزعج ..!

فقال الوزير: ولكنّ خليفته أشد منه بأسا كما يقول الركبان والتجار الذين دخلوا بلاده ..

ـ عجيب أمرك أيها الوزير ! .. أما زال الرعب يملأ جوفك من تلك البلاد الصغيرة ؟!

ـ قد كبرت يا مولاي!! ..وعلمت أن جيشها زاد عن جيوش بعض المدن .

ـ أين ابن أمير هذه البلدة لنساومهم عليه ؟

ـ إنه تحت حماية رجل سندي يدعى برسوم السندي زعيم عصابة سنج استعان بها ولدك لخطف ابن الأمير البحر .

ـ واسم أميرهم الجديد البحر .. ذاك هزيم الرعد وذا البحر ـ أريد لقاء هذا المجرم برسوم هذا اللعين ما الذي أتى به لبلادنا ؟!

ـ ولدك !..يا مولاي ..وأنا سأطلب منكم اعفائي من الوزارة لم أعد أطيق مشاكل ابنك التي لا تنتهي ..وسأضع بين يدك بعض الأسماء ..لتختار من تشاء .

قال الملك رضوان حانقا : فعلا أنت كبرت أيها الوزير .. وحان لك الجلوس في بيتك وبين نساءك وبناتك .

ـ سأفعل يا مولاي !..

ـ أحضر الشاب الأسير .. لعلنا نساوم عليه الأمير البحر الفارس المزعوم .

ـ سأحضره هو واللعين برسوم .. وها هو الفارس المزعوم أسر الأمير ..ولولا وجود ابنه لدينا لخشيت على أميرنا من الاغتيال.

فهمس الملك قائلا : دم تلك القروية بدأ يثور .

ـ كان يجب أيها الملك ألا نسكت على مصرع تلك البريئة .

خرج الوزير من بين يدي الملك ليطلب من قائد الشرطة إحضار برسوم الهندي والأسير ، ففاجأه قائد الشرطة قائلا : هذا الرجل قد قتل فجرا مع عدد من أتباعه، وأن الأسير قد اختفى وقد تركتهم قبل قليل يبكون زعيمهم ..

صعق الوزير وهو يسمع أخبار قائد الشرطة : قتل برسوم!.. واختفى بلبل !.. يا ويلنا ماذا نقول للملك ؟! ..اصعد معي للديوان .

وعاد الوزير لديوان الملك ومعه قائد الشرطة في المدينة، وأخبروه بمصرع برسوم السندي وبعض أتباعه واختفاء الأسير ..فصعق الملك بدوره وصاح : ما هذا أيها السادة !.. يخطف ابني ابن الملك، ويقتل برسوم الهندي ويختفي الأسير .. أين الجند ؟ .. أين الشرطة؟! ..ألا يوجد



حراس في البلاد؟!.. عصابات تسرح وتمرح في بلادنا ..

عمت الأفراح والليالي الملاح في بلدة القنفذ ، وخرج الناس يرحبون بسيدهم لما وصلت البشارة بعودتهم ظافرين .. وزال القلق الذي أصابهم بغيبته عنهم كل هذا الزمن ..وقدم السادة الكبار لتحية الزعيم القائد .. ورويدا رويدا عاد الهدوء للقرى كلها.. وأعلمهم الأمير البحر أن بلادهم ستصبح مملكة تضاهي الممالك المجاورة ..

وبدأ الاستعداد لتتويج البحر ملكا على بلاد القنفذ.

وفي اجتماع شعبي كبير أعلن الأمير البحر نفسه ملكا على مدينة القنفذ ، وأعلن الأمير هلال الوزير الأكبر.. وعين أحد أحفاد هزيم الرعد قائدا للجيش .. وحفيدا آخر قائد للشرطة .. وعين البحر أحد أبنائه قائدا لحرس الملك البحر .. وكان أكثر رفاق هزيم الرعد الكبار قد أخذهم الموت الذي لا مفر منه .. وبايع الفرسان والأمراء الملك الأول لبلادهم ، وقد عمتهم الولائم والأفراح .. وكانت البلاد قد هيئت لأن تكون مملكة كما ذكرنا ذلك في صفحات سابقة وأمر الملك بإنشاء حصن ضخم على قمة جبل من جبال بلاد القنفذ ليكون مقرا للحكم والسلطان وحاشية الملك .

وبدأت الوفود تأتي بالتبريك والتهنئة لما يحدث في بلاد القنفذ ومن ميلاد مملكة جديدة ، واعترف بعض الملوك بالمملكة الجديدة ، والبقاء على الصداقة التي كانت قائمة بينهم .. ولما أشرفت مراسم تتويج الملك البحر على النهاية .. قدم وفد من بلاد الماعز مهنئا بما يحدث في بلاد القنفذ ويطلبون أسيرهم .. فأخبرهم الوزير هلال بأن ابن ملكهم أساء للملك البحر ولأهل بلاد القنفذ جميعهم ، وأن الأمير محكوم عليه بالموت والقتل ..لإرساله عصابة سنج لخطف الأمير بلبل بكر الملك البحر .. وهذه العصابة قتلت رجلا بريئا أيضا .. والرجل أقر أمام قضاة المدينة بالجريمة وإرساله لعصابة سنج .

وأخبرهم الوزير بأنهم علموا بأنهم غدروا بالفتاة القروية .. عندما طلب من أحد خدمه وغلمانه

بإسقاطها في بئر عمدا ..ولا مجال للعفو ..

بل خلال وجود الوفد تم تنفيذ حكم الموت بالأمير ضرغام .. وأعطوهم جثته بعد صلبه يوما واحدا .

ولما وصلت الجثة بلاد الماعز غمر الحزن والأسى والبكاء القصر الملكي وبعض الأحياء .. وأظهر بعضهم بغضه على مملكة القنفذ وتمنى زوالها.. واعتزل الوزير عنان الوزارة واعتلى أحد أبناء عمومته الوزارة .

وعندما انتهى الحداد الملكي على الأمير المقتول قال الملك لوزيره شداد وقائد جيشه الجديد الأمير صارم : كيف سننتقم لشهيدنا ؟

فاقترح القائد إرسال مجموعة فطنة لقتل ملك بلاد القنفذ غيلة.. ولكن من يلبي نداء القيام بهذه المهمة الخطيرة .. ثم كانت الدعوة لبقايا مجموعة سنج .. فتطوع ثلاثة للقيام بهذه المهمة الخطيرة ورافقهم رابع من أهل المدينة من أصدقاء الأمير المقتول .

وكانت خطتهم مرافقة القوافل التجارية ، ويدخلون بلاد القنفذ بهيئة التجار المتنقلين مع القوافل .. والتحرك مع التجار كان سبيلا يسيرا لدخول المدن والحركة بداخلها .. ومع ذلك ربما يقع الكثير من الماكرين في أيدي الشرطة إذا كانوا على قدر من النباهة ..ودسوا أعوانهم بين رجال القوافل خفية ، وأيضا بواسطة التجار الذين يعملون في التجارة .. هم تجار أمام التجار ورجال خفية أمام الأمن .. فمن اشتبه بدخوله للبلد كجاسوس وعين يعتقل فجأة ، ويجري معه التحقيق وهو وقوة أعصابه وشجاعته أمام المحققين .. وهذا سيعرض القافلة كلها للاختبار والابتلاء وربما المصادرة والمعاقبة القاسية ..ولكن استطاع الرجال الأربعة دخول بلاد القنفذ وهم يمثلون دور التجار وأبناء التجار .. وباعوا واشتروا في المدن المجاورة حتى غلب الظن على رئيس القافلة التي رافقوها لبلاد القنفذ أنهم تجار مخضرمون ..وعادة القوافل الكبيرة أنها يرافقها في المقدمة حرس وفي المؤخرة حرس .. وهؤلاء عادة يستأجرون من قبل رئيس القافلة وزعيمها وحسب طول الرحلة ومدتها ..وأحيانا يدفع للمدن التي سيمرون منها مقابل

حمايتهم إلى أطراف مدينة أخرى .. وأحيانا يدفعون للقبائل التي تمر من مضاربها وبواديها ليحموهم من قطاع الطرق واللصوص ..وتم التثبت من رجال القافلة التي دخلها رجال مدينة الماعز .. فنزلوا في الخانات الملائمة للقافلة التي يصطحبونها ..سيبيع القوم في هذه المدينة ما يناسبهم وسيأخذون ما يناسبهم لبلاد أخرى .

وأحيانا تدخل المدينة قافلة لا تحمل إلا صنفا واحدا أو اثنين ..كأن تحمل دقيقا أو شعيرا لتأخذ مقابله جلودا ..بهارات .. أو سيوفا ..أو أخذ خيول أو حيوان يكثر وجوده في بلاد القنفذ .. ودخل الرجال الأربعة كتجار خيل ..فاحضروا معهم بعض الخيل الثمينة ..فمشوا بها نحو سوق الخيل والبغال والحمير .. دخلوا لبيع عشر جياد قوية .. وكانوا يطمعون أن يصلوا بها للملك البحر أو حاشيته .. فالفرسان يحبون اقتناء الجياد الأصيلة والقوية .. للحرب وللصيد وفعلا وصل الخبر لبعض رجال الجيش بوصول هذه الجياد .. فذهب بعضهم للمشاهدة كسائر المهتمين بالخيل ..ولكن قدر أن يكون أحد الذاهبين لمشاهدة هذه الخيل أحد الجنود الذين تعرضوا للسلب في حادثة اختطاف الأمير بلبل ..التي أدت إلى مقتل برسوم وضرغام .. فعرف هذا الجندي أن أحد هؤلاء التجار من عصابة سنج .. فكتم الأمر وتصرف بذكاء وفطنة .. وبعد انصرافه عن السوق أعلم أمير الحماية الخفية .. الأمير أسعد بما فطن له .. فشكره الأمير على نباهته وحسن تصرفه وكلف أعوانه بمراقبة هؤلاء الوافدين والتعاون مع الجندي الفارس ومعرفة الغاية من دخولهم بزي التجار بلاد القنفذ وقال لمساعديه : هناك مكر وشأن خطير

تابع أعوان أمير الحماية الخفية منازل التجار بل تمكن أحدهم من أن يكون خادما لهم في بلاد القنفذ ، وأنه رجل معتوه يعيش على الإحسان وخدمة الناس ..

وكان الأربعة يعمل منهم اثنان في سوق الخيل والآخران يتجولان في طول المدينة وعرضها .. يبحثان على ثغرة يدخلون بها قصر الملك .. وبعد حين أقروا بصعوبة دخول القصر.. واستطاع الخادم الأبله اكتشاف جل أسرارهم والغاية القادمون إليها ووجدوا أنفسهم عاجزين من تنفيذ مأربهم والنجاة بجلودهم .. وقال أحدهم ذات ليلة : لا يمكن التسلل لقصر هذا اللعين

واغتياله .. لابد من قتله في اجتماع واحتفال عام .. أو تجنيد جندي وإغرائه وفي هذا مخاطرة كبيرة على أرواحنا .. ومن معرفتي برجال هزيم أو البحر فمن غير الممكن توريط أحد منهم .



اشتباه

لما علم أسعد أمير الحماية من جاسوسه بغاية هؤلاء الرجال اللصوص المتنكرين بزي تجار القوافل كاشف الملك البحر بالمؤامرة التي تدبر للانتقام منه من قبل بلاد الماعز، فسر الرجل من نباهة أعوانه وشدة ولائهم له، وحمد الله على ذلك الحفظ ، وأمر الأمير بالقبض عليهم والاستماع لأقوالهم ثم تقديمهم للقضاء .

داهم رجال العسس والحماية الخان الذي ينزل فيه الرجال الأربعة بالتعاون مع صاحب الفندق في ساعة متأخرة من الليل ، وأسروا الخادم الجاسوس معهم .. خداعا لهم ، وأمام التحقيق أقروا بأنفسهم وغايتهم من الوجود في بلاد القنفذ .. وأن قائد جيش بلاد الماعز الأمير صارم كلفهم بالقيام باغتيال ملك هذه البلاد ، وليس أمامهم إلا الطاعة وإلا القتل .. فأمر الأمير أسعد بحبسهم في أحد الآبار المهجورة حتى يقدموا لأحد القضاة وكبير قضاة الملك البحر وينالوا الجزاء الملائم

وقضى القاضي عليهم بقطع الأيدي وحسمها بالزيت الساخن وطردهم من البلاد .. وبعد عذاب شديد وصلوا بلاد الماعز يبكون وينوحون أمام قائد الجيش حظهم وتعاستهم .. وحذروه من الاعتداء عليه من قبل رجال الملك البحر.. فأصابه الخوف والهلع ، فهو يعلم ما يشاع عن شدة إخلاص رجال الملك البحر لملكهم .. ويعلم مكر هؤلاء القوم.. فقد عاصر خطفهم للأمير ضرغام مرتين .. وبعد تأمل وتدبر خاطب الوزير وعرفه بفشل المهمة التي كلف بها الرجال الأربعة وما جرى لهم .. وحثه على تشجيع الملك على الصلح والاتفاق على عدم الاعتداء على بلاد القنفذ ، والتعاون معهم على مطاردة العصابات ، وطرد من بقي حيا من عصابة سنج .

ودخل الوزير شداد بالرجال الأربعة على الملك رضوان ، وأمر أحدهم أن يحدث الملك بقصة قطع أيديهم الذي رعب بدوره من هيئتهم بأيدي مقطوعة ، ولما صرفهم الوزير أطلع الملك على اقتراحات قائد الجيش ، فغضب رضوان وقال : الملعون لو كان ابنه المصلوب أيقبل بالصلح؟!

فليجلس في دار أمه وبين نسائه وليعين ابننا خالدا قائدا للجيش، وليستعد لغزو بلاد القنفذ مهما كلف الأمر .. من مال وجند .

ولما علم خالد بالأمر حاول التملص من قيادة الجند ، وزعم أنما هو جندي من جنود الملك .. ولكن والده أصر على تحميله المسؤولية ، وأصبح القائد الأكبر لبلاد الماعز السمرة .. ولما انتهت مراسم التعيين والاحتفال بذلك كلف بوضع خطة لغزو مدينة القنفذ .. فالتقى القائد خالد بالوزير شداد الذي بين له صعوبة المسير لتلك البلاد، فالمسافة بين البلدين تحتاج لأكثر من عشر ليال للوصول إليها .. والملك البحر له أصدقاء من الملوك الذين سنمر من أطراف بلادهم .. فنخشى تآزرهم وتحالفهم على غزو بلادنا .. ونحن منذ احتلال الملك الحصان لبلادنا وجيشنا ضعيف لا يقوى على المعارك الخارجية فلا داعي لمعادة ملوك تلك المدن .

فعاد الأمير القائد يصارح أباه بوضع جندهم وبعد المسافة بين البلدين ، فرفض الإعفاء وأن دم أخيه لا يجب أن يذهب هدرا بدون انتقام وقال : هم الذين قتلوا أخاك، ولم يرعوا حرمة أبناء الملوك والحكام .. أليس عندك دم ؟! .. أم دمك أصبح ماء ؟

ـ لم أنس دم أخي .. ما رأيك بأن نستعين بالملك جاد ابن الملك الحصان ؟

ـ فكرة عظيمة ..نعطيه نصف مملكة القنفذ .. سأذهب لزيارته واطلب عونه .. فهو أخ لزوجة أخي بهاء .

صحب الملك رضوان وفدا كبيرا فيهم بعض أبناء أخيه بهاء لبلاد الملك جاد ، وبعد الوصول وتناول الطعام كاشف الملك رضوان الملك جاد بسبب مجيئه وطلبه العون منه لغزو بلاد القنفذ والثأر لمقتل ولده .

فلما استوعب الملك جاد كلام الملك الضيف قال : أيها الملك نحن غزونا بلادكم للظلم الذي أصابنا من شقيقك بقتله أخيه بهاء ، ثم طرد أختنا ليقتلها اللصوص .. ودعمناكم للثبات والاستقرار في بلادكم .. أما أن نرسل فرساننا لبلاد القنفذ للثأر لولدكم فهذا غير صائب، ولسنا بحاجة لعداوة تلك المدينة .. فلم نكسب عداوتهم ونقتل رجالنا ؟!.. فهذا شأنكم أنتم

وحدكم .

ـ أسندنا ببعض الجند .

ـ هذا إعلان حرب عليهم وعدوان غير مبرر.. أيها الملك.. لو أعطيتك مائة فارس .. أو ألف فارس فهذا العدد هل يكثر فرسانكم؟.. أتقبل مائة فارس مائتين أيها الملك .

فقال رضوان : أقبل بهما أيها الملك السعيد .

فقال الملك جاد: حسنا أيها الملك! لو كان الملك البحر هو الذي يغزو بلادكم وطلبت مساعدتنا ربما أرسلنا معك الكثير ..أرجو ألا يعلم أحد أننا أرسلنا معك مائتين فارس فهؤلاء ضيوف عندكم ..

ورجع الملك رضوان لبلاده قابلا مائتي فارس من الملك جاد ، وعاد مصرا على مقاتلة الملك البحر، ولما كمل الاستعداد تحرك القائد خالد بالجيش الغازي ، وأرسل الملك رسائل لملوك المدن التي تعترض طريقهم لبلاد القنفذ يتعذر منهم للمرور من أطراف مدنهم ..فسمحوا لهم بالمرور من خارج المدن وبدون أن يؤذوا أي من أهل القرى .. ويقع في الطريق مدينتين من المدن الكبيرة ..وهم بدورهم أخبروا الملك البحر بعدوان بلاد الماعز ونيتهم الزحف لبلاده .. وكانت عيون الملك البحر التي تتردد باستمرار على مدينة الماعز نقلوا إليه استعداد الملك رضوان لمحاربة بلادهم ..فأمر الملك البحر بتقدم ألف فارس يقودهم بنفسه لملاقاة حملة الأمير خالد ..صديقه القديم ..وجعل الوزير هلالا نائبا على البلاد ، وأمره بتهيئة ألف فارس آخرين ليكونوا على أهبة الاستعداد ، وكان على رأسهم قائد الجيش حفيد الأمير هزيم الرعد وقال الملك البحر لوزيره : سأعرفه بنفسي وأذكره بشخصي فإن رجع رجعنا .. ولسوف نسعى لعقد صلح بيننا وإذا اضطررنا للحرب سنقوم بأسره وأسر قادته .

استمر الزحف من الطرفين حتى التقوا في منتصف الطريق بين المدينتين ، طلب الملك البحر اللقاء بقائد الحملة .. ولكن الأمير خالدا والقادة رفضوا اللقاء للتفاوض وأصروا على القتال للزحف على بلاد القنفذ .

ودارت رحى الحرب .. وتجالد الفرسان بضعة أيام ، ولما رأى البحر أنهم مصرون على القتال وعدم التراجع وعلى غزو بلاده .. فعرض الصلح عليهم مرة ثانية ، وأبوا وأعلنوا أنهم جاءوا ليثأروا لقتيلهم ضرغام ..فطلب البحر إخبار أميرهم بأن قائد هذا الجيش صديق قديم له ، فلما سمع ذلك قال لمن حوله: كيف يكون هو صديقي ؟!

ـ يقولون إن الرجل البحر صديق طفولتك في بلاد القمحة .

ـ غاضب !!.. أمعقول أنه ملك هذه المدينة لم نسمع بذلك؟!

ـ كان اسمه ريح البحر قبل أن يصير ملكا .. ثم أصبح يقال له البحر بدون ريح .

كان خالد ما زال في دهشته وردد : صديقي غاضب ملك! .. لم اسمع بهذا ؟! ملك بلاد القنفذ هو صديقي ريح البحر ..إن هذا لشيء عجاب !

ـ هو أحب أن تصل إليك هذه الرسالة .. لتقبل اللقاء به .

التقى الرجلان فوجده فعلا صديقه القديم ورسوله إلى أبيه رضوان قبل ربع قرن من الأيام وتذاكرا أيامهما ، وسمع الأمير قصة ملك الملك البحر ، وبدا معجبا به غاية الإعجاب؛ ولكنه قال : ما دمت تعرف من هو ضرغام لماذا قتلته؟!

ـ لم اقتله يا سيدي الأمير! .. القضاء قتله .. فهو متهم بقتل رجل من بلادنا يوم خطفوا ابني بلبلا .. وأنت أعرف الناس بلسان أخيك وقبحه .. وقد قتل القروية التي خطفها أولا ثم قتلها بعد شفاعة الأمير الزعيم هزيم الرعد .. ثانيا وأنت تعرف عداوته وشراسته .

طأطأ الأمير رأسه خجلا من صفات أخيه وقال : لم أنس .. ولكنه أخي .. وكل هذه الحرب للثأر له .. صدق أيها الصديق أني أكره الحرب وأبغضها.. كرهتها منذ مصرع عمي بهاء .. ولكن أبي يصر عليها .

فوقف الملك البحر وقال : أنا أحببت هذا اللقاء حتى إذا حمي الوطيس وسالت الدماء الغزيرة لا تلوم صديقك القديم في بلاد القمحة وحصن التدريب وتقول لو علمت .. لو علمت .. ما استمرت الحرب .. فأنتم مصممون على القتال .

كان الأمير قد قام أيضا وقال : ليس الأمر إليّ يا صديقي القديم .. ألا ليت تلك الأيام تعود ..

ـ حسنا أيها الأمير أرجو أن لا نلتقي وجها لوجه أثناء المعارك .. فإني لا أغفر لنفسي أن تعلم أمك الأميرة صيد أني سفكت دمك .

ـ أمي !!

ـ لا يمكن أن أنسى أمك التي عطفت عليّ صغيرا ، وكانت تمسح على رأسي أيها الصديق أرجو أن لا تلتقي سيوفنا أيها القائد .



بعد انصراف القائدين من الخيمة، طلب الملك البحر من رجاله عدم قتل الأمير خالد، ووضعت خطة القتال موضع التنفيذ ، تقاتل مجموعة أول النهار لإنهاك العدو وإرهاقه ومجموعة أخرى تستريح حتى نصف النهار، ثم يتبادل الفريقان المواقع فإذا تحقق النصر كان بها ، وإذا لم يتحقق في اليوم الأول تكرر الخطة في الأيام التالية .. وتجدد القتال في الصباح التالي، ولما تقدم الفريق الثاني من جيش بلاد القنفذ ليتابع القتال.. تقهقر أمامهم جنود بلاد الماعز فعادوا للخلف في أول اللقاء رويدا رويدا ، ثم أخذوا بالفرار غير المنظم ، وتركوا خيامهم ومعسكرهم طالبين النجاة بأرواحهم .. ولما رأى أتباع الملك البحر.. انهزام الجيش المعادي .. تابعوا القتال وأخذوا في مطاردة الأعداء إلى عدة مراحل.. ثم قفلوا ولملموا الأسرى والجرحى وأموال القوم .. وكان من ضمن الجرحى الأمير خالد الذي أخذ بالبكاء على ما أصابه وما حل بجيشه من الهزيمة ، فأمر البحر أحد أطباء الجيش العناية بهم .. ومن ثم نقلهم إلى بلاد القنفذ .. ولما خلا المكان من الأسرى والجرحى طلب الملك من جيوشه دفن القتلى من الفريقين .

وبعد مكث الجيش ثلاثة أيام للاستراحة في ميدان المعركة .. أخبرهم الملك البحر بأنه عازم على المسير لبلاد الماعز وغزوها وفرض الصلح عليها جبرا وقسرا .. وكان قد أرسل مع القائد الذي

ساق الأسرى والجرحى للبلاد .. أن يأمر الألف فارس الآخرين اللحاق به لبلاد الماعز وتحرك الجيش نحو بلاد الماعز ..

ولكنه التقى بالطريق بوزير الملك رضوان عارضا السلم والصلح ..فتردد في قبوله قبل دخول بلاد الماعز .. فطالب بمجيء الملك للاعتذار له ولبلده .. وأن يغرم مال الحرب .. ويطلب السلم .

وبعد أيام جاء الملك رضوان ووزيره للقاء الملك البحر .. وسلموا عليه سلام الملوك المغلوبين، وطلبوا الصفح والاستعداد لدفع المال المطلوب وتعويض أسر القتلى والجرحى من بلاد القنفذ ولم يكن عددهم كثيرا.. ولما استلم رجال الملك البحر الأموال المقدرة والديات قبل الملك البحر الصلح .. وأمر بعودة الأسرى والجرحى إلى بلادهم .. وقفل جيشه المظفر عائدا لبلاده آملا بانتهاء الحرب بينه وبين بلاد الماعز ..

وارتفع من جديد صيت الملك البحر وجيشه في الأمصار والبلاد بعد هذه المعركة .. وجاءته التهاني والتحيات من الملوك والوزراء .. وفي الطريق التقى بصديقه خالد الجريح ، واطمأن عليه وحثه بالعودة لبلاد أمه .. حيث الحياة الهادئة والصيد .. وعاد الأمير لبلاده وهو في غاية السوء من الجراح التي ألمت به بدنيا، ومن نفسه المحطمة من سوء الهزيمة ، وكان لقاؤه بأبيه عاصفا وشديدا ثم قال : نحن قوم لا نصلح للقتال ..فهذا المغامر أقوى منا ألف مرة ..

فقال الملك : إنه دم أخيك ..

ـ دم أخي !.. قتل مئات الرجال من أجل دم أخي الظالم .. جيشك تركني وهرب ..لا يوجد عندنا رجال حرب.. وصمت لحظات ثم قال : أتعرف من هو الملك البحر الذي التقيت به أيها الملك ؟

فقال بحزن وأسف : جلست بين يديه كالعبد الذليل وأنا وسادة قومك ..وهو يشرط علينا شروط المنتصر !

ـ هل عرفته؟ وقد التقيت به قبل اليوم ؟

ـ ظننت أنني التقيته قديما؛ ولكن لم اذكره جيدا ..فلعمري والله ما وطئت قدماي تلك البلاد .. ولكني أحسست أني رأيت هذا الوجه .. لكن أين ؟!

فصاح خالد منفعلا : هنا التقيت به ..إنه صديقي .. الرسول الذي أرسلته إليك قبل ربع قرن من الزمان .

ـ الرسول .. أي رسول .. آه .. ذاك الفتى ..

ـ نعم ، ريح البحر .

ـ ذاك الشاب ..ذاك الجاسوس.. يا ويلاه!! .. يا ذلاه !..وأنا أنظر في عينيه قلت لنفسي إن هاتين العينين مرتا عليّ .. رهيب وكيف حصل هذا العز والملك؟!

قص الأمير على أبيه مختصرا قصة تملك ريح البحر وهلال بلاد القنفذ .. فقال الأب معجبا : رجل بطل! .. وللأسف نحن أعداء .. ولا يمكن أن يصفى قلبي له .. إنه قتل أخاك يا خالد كنت أظنه قادما إلينا من قبل أمك جاسوسا وعينا .

ـ ولكنه اليوم سيد مطاع .. وأمير تهابه الملوك .. وتقدم له الهدايا والعطايا .. وهلال صديقي الآخر وزيره الأكبر .. أرأيت الدنيا يا أبي ؟!.. بسبب الرسالة التي أرسلتها إليك معهم .. تغيرت أحوالهم وأصبحوا الملوك والوزراء .. ولكن هزيم الرعد أحسن الاختيار لخليفته.. هكذا يقول كل من قابلت من الشيوخ والسادة في بلاد القنفذ .

يزيد

بعد هذه الأحداث التي عصف ببلاد الماعز .. طمع الملك رضوان بعودة ولده يزيد إليه .. وكان قد كرر المحاولة ليعود إليه أكثر من مرة .. بواسطة بعض كبار قومه وبواسطة الأمير خالد ، ولكنه في كل مرة يرفض ويربط صلحه مع أبيه باعترافه بزياد مولودا له، وبالاعتذار لأمه الشريفة العفيفة، وتبرئتها على رؤوس الناس .

تلقت الأميرة صيد رسالة من زوجها القديم يخطب ودها، وأنه مستعد للزواج بها من جديد، والاعتراف بأن الابن زيادا ولده ومن صلبه ، والاعتذار إليها أبين الاعتذار ، وأنه بشوق لرؤية ولديه بعد كل هذه السنوات .

ولما استوعبت الأميرة رسالة زوجها الملك تعجبت من قلة عقل زوجها ، وتحدثت مع أخيها بأمر الرسالة، وبحكاية الاعتراف ـ وهو الأهم عندها ـ بابنه زياد الذي تزوج ، وأصبح له أولاد قد تزوجوا منذ زمن قريب.. وكان الرسول قد حدثها عن جراح ابنها خالد في معاركهم مع بلاد القنفذ .

فلما قرأ الملك عدنان الخطاب والرجاء والتوسل والاعتراف والزواج قال لأخته : أمجنون زوجك ؟!

ـ يبدو أن هزيمتهم أمام جيش الملك البحر.. أضعفت عقله.. وأنا لولا قصة الاعتراف وإظهار براءتي وطهارتي لمزقت الكتاب كل ممزق.. وما عرضته عليك يا أخي الملك .

ـ نحن نعلم طهارتك وعفتك .. وصبرك عن الرجال كل هذا الزمن ولا أظن أن بك رغبة للنكاح رغم كل العروض التي قدمت لك .. وأنك آثرت مصلحة أولادك على مصلحتك وشهوتك .. وفي اعتذار بعلك وندمه فضل آخر لك وكرامة .. وفي حق الأمير زياد .. وذلك عندما يشهر في بلاد الماعز.

ـ وأعود له زوجة بعد كل هذه العداوة والعذاب!!

ـ مصلحة الأمير التي ضحيت من أجلها اجعليها في المقام الأول .

ـ لا أتصور أن أكون زوجة بعد الظلم الذي ظلمت به وحاق بي من وراء الزواج .

ـ أنت طلبتي مشورتي ، والأمر في النهاية إليك وحدك .

وبعد تشاور مع أصحاب المشورة والأميرين يزيد وزياد ، وأنه من مصلحة الأمير زياد بعد كل هذه السنوات الطوال من اعتراف وإقرار أبيه بأنه من صلبه وافقت الأميرة على الصلح ؛ ولكن الأمير زيادا قال : يا أماه اعتراف أبي بي لن يضيرني ويرفع من مقامي بين الخلق.. والذي خلقني ما شككت في عفتك وشرفك يوما بل لحظة ..لا تظني أنني أحببت أبي يوما ..إني أبغضه يا أماه ومع ذلك أقول الأمر والشأن لك أيتها العفيفة.. ولا أدري ماذا يريد مني هذا الأب بعد كل هذه سنوات؟!.. ولا تطيب لي الحياة في بلاد الماعز .

أرسلوا للملك رضوان رسالة يخبرونه بالموافقة على تصحيح الأمور ، والاعتذار عن الزواج ، وأنها لا ترغب بالحياة الزوجية.. ولكن كانت المشكلة إذا لم يحصل الزواج كيف سيذهب الأولاد لأبيهم ويعيشون معه بدون أمهم؟ .. وهي لم تستحسن الحياة هناك وحدها .

لما نقلت رسالة الأميرة صيد بالرضا عنه إذا أعلن على الملأ اعترافه بولده زياد ستقبل رحيلهم إليه إذا شاءوا .

فبعث الملك ابنه المصاب رغم مرضه لبلاد القمحة للشفاعة له عند زوجه ، وأن زواجه منها سيعيد الأمور لنصابها ، وأنه أخطأ في حقها ، وأنه نادم أشد الندم ، وسيرحل الأولاد وهم في طمأنينة، وأنها ستنصب ملكة في بلاد الماعز .

وبعد تردد الشفعاء بين المدينتين سافر رضوان بنفسه وحاشية كبيرة من الأمراء ، وأعلن ندمه على ظلم زوجه وأولاده ، وأنه جارى أمه في تهمتها الشنيعة .. واعترف أن أمه اعترفت وهي على فراش الموت أنها اتهمت الأميرة كذبا وزورا .. وأبان أنه نادم أشد الندم معترفا بذنبه.. واعتذر لأولاده جميعهم ، ولإخوة الأميرة وعشيرتها .. وتم الصلح بين المدينتين بمشاعر الندم ومظاهر البكاء والأسف .. وأعلن الزواج من جديد .. ورحلت الأميرة لبلاد الماعز مرة أخرى، وهي تطمع بسيرة وحياة هانئة كما كانت في بلادها .. واستقرت الأميرة بين زوجات الملك

بعدما تم إعلان براءتها مما اتهمت به وما ألحق بها من عار .. ثم أعلنت ملكة على البلاد ، وهكذا ضحت صيد من جديد من أجل أولادها ، وسر الملك باجتماعه بأولاده وأولادهم ، وأخذ يرغبهم بالزواج من بنات مدينتهم حتى يحبوا الاستقرار والمكث فيها ، وقرت عينه بهم وبأمهم صيد .



وبينما الملك رضوان سعيد بعودة أولاده الذكور وزوجه إليه وتجدد حياته ، دخل عليه رسول من قبل أخيه الملك رياض بن شامخ طالبا منه ترك تخت الملك لحفيده ابن الملك سيف الذي اغتالته زوجته بنت ابنة الملك الحصان الأميرة (برد) ، وأنه جند جيشا ضخما للمطالبة بملكه المسلوب .

دهش أهل بلاد الماعز لهذا النبأ الخطير، واجتمع الوزير شداد بكبار رجال القوم ، والسؤال الدائر على فكرهم لماذا كل هذا الانتظار وبعد كل هذه السنوات ؟! وما الذي ذكرهم ببلادهم بعد العقود التي ذهبت ؟!

وذهب وفد من السادة إلى بلاد الملك دوان الذي قدم الحماية للملك رياض ، فوجدوه قد مات واعتلى عرشه ولده سعيد، فلما استقبل الوفد قال لهم : أهلا وسهلا بكم في بلاد الطير .. وحكايتكم حكاية قديمة .. لا دخل لنا فيها .

وعاد الوفد لبلاد الملك جاد بن الملك الحصان حاكم مدينة سلمي يطلبون مساعدته ضد الملك رياض .

فقال الملك جاد : هذه حكاية قديمة .. مضت عشرات السنين عليها ، وأختنا لها عقود ميتة وقد قتل عدد من فرساننا في معارككم مع ملك بلاد القنفذ .

فعاد الوفد بخفي حنين للملك رضوان الذي كان قد أمر الجند بالاستعداد للدفاع عن بلادهم وأدرك التململ والفتور بين القبائل .. وكذلك بروز الطامعين من أبناء القبائل من جديد فقدم

لأخيه الأكبر المال للعودة للسكون في منفاه ، ولما أبى إلا العودة لبلاده ..فوافق على العودة للبلاد مقابل الهدوء ..فجاءته رسالة تهديد ووعيد ويعيب عليه الاعتراف بابن الزنا من زوجه صيد فغضب الملك للرسالة ومزقها قبل أن يقرأها أحد غيره ..واستعد للمعركة القادمة .

وكان ذلك الملك الشيخ قد تحالف مع ملك قريب للملك سعيد بن دوان تقع مدينة ملكة بين بلاد الماعز وبلاد الطير ..فلما انتشرت عودة الملك رضوان لزوجته الأميرة صيد كما روينا ذلك سابقا ..أرسل الملك الشاب لمدينة غراب .. يخبر الملك الشيخ أن أخاه تصالح مع زوجه صيد ونفى عنها الفاحشة وجعلها ملكة .. وأنه لم يفكر في أخيه وأبناء أخيه ليعيدهم لبلادهم كما أعاد زوجه وولديه يزيد وزياد .

ولما استوعب الشيخ الوشاية ومصالحة أخيه من أبيه من زوجته التي طردت ذليلة من بلاد الماعز وأن أولادها على وشك أن يعتلوا عرش أبيه شامخ .. تظاهر بالغضب والأسف، وكذلك حثه بعض أبنائه وأحفاده بالعودة والمطالبة بالعرش والحكم ، وأنهم أولى من أبناء الملك في الملك والسلطان ، وأن أمهم متهمة بالفاحشة واعتبروا ذلك خيانة لأبيهم شامخ .

ووجد هذا الفعل تشجيعا من ملك البلاد الغراب ، وأنه على أتم الاستعداد للتعاون معه لاسترداد ملكه مقابل نصف ملكه إذا ظفروا بالحكم ، وكان ذاك الشاب محبا للمغامرات والتحرش في المدن باحثا عن الشهرة والعلو بين الممالك .. والظهور على أبناء أقربائه حكام بلاد الطير .

وبعد ضغط من أبنائه وأحفاده ، وافق الشيخ على المسير لبلاد الماعز طالبا استرداد عرشه وعرش ابنه المقتول .. ولما رفض رضوان التنازل عن العرش كما أسلفنا لكم تحرك الملك رياض والملك صخر بجيش يزيد عن الخمس آلاف فارس ومحارب .. واقترب الزحف لبلاد الماعز خلال شهر .

وقامت المفاوضات للصلح بين الأخوة من جديد .. وأثناء هذه المفاوضات التحق عدد لا بأس به من جيش الملك رضوان بالجيش الزاحف بعدما تم تقديم الإغراءات لهم ، وأيضا لمعرفتهم

بضعف جيش بلادهم ، فهم منذ موت الملك شامخ وصراع الإخوة قائم فيما بينهم ، والاحتماء بالغريب دأبهم .

ودارت المعركة بعض نهار واحد ، ثم رفع قادة الجيش في بلاد الماعز الرايات البيضاء ، وطلب الملك رياض من أخيه التسليم والإقرار بعودة الملك لأهله ، فرفض الملك التنازل عن عرشه، وغادر البلاد طالبا المنفى، واتجه بأسرته نحو بلاد القمحة ، التي فوجئت بوصول الملك رضوان والملكة صيد التي احتفلوا بتتويجها منذ أشهر.. فقدم لهم الملك الشيخ عدنان القصور اللائقة بمقامهم ومواسيا لهم بسقوط عرشهم .

بعد تلك الهزيمة المدوية حاول الملك رضوان الاستفادة من جيش بلاد القمحة ومساعدتهم باسترداد الملك ، ولكنهم اعتذروا له عن الدخول في صراعات بينه وبين إخوته، وحاول أن يوظف استعادته لزوجه بأنه سبب هذا الصراع، وتحدث عن مضمون رسالة أخيه إليه قبل الحرب التي فيها حجة لطلب العرش من جديد وهي عودته لزوجته المتهمة وتنصيبها ملكة فقال الملك عدنان بحزم : نحن لا ناقة لنا في هذه الحرب .. ومهما كان السبب وراء هذه الحرب فجيشنا لا يستطيع القتال إلا في حماية حدود البلاد ..وأهلا بكم ضيوفا مدى الحياة .

وامتعض الملك رضوان من هذه الصراحة ولم يعجبه الجواب الصريح ، فلزم الصمت على مضض، وبعد حين اتصل بأخيه طالبا العودة للبلاد، وأنه مستعد للتنازل عن العرش، وأنه لا مطمع له بالتاج والحكم.. ولما وثق الأمر .. أخبر الملك الملك عدنان بصلحه مع أخيه، وأنه قرر العودة ليموت في بلاده وبين أهله ورعاياه ..وأمر أعوانه وأولاده بالعودة للبلاد .. وبارك ملك بلاد القمحة هذه الخطوة الجريئة .. وأثناء الوداع ادعى أن أخاه شرط وطلب منه طلاق الملكة صيد ، وأظهر غضبه زاعما أنهم لو ساعدوه في تحرير بلاده من الغزاة لما اضطر لهذا الفعل ولكن جبنهم منعهم من الوقوف معه ، وأن ابنهم خالدا كان مهيئا ليكون ملكا بعده.

وأمام هذا المشهد الجارح أعلن الأمير زياد رغبته في البقاء في بلاد أخواله ، وفعل يزيد مثله ، فأظهر رضوان عدم اكتراثه بتمردهم ، وظن أنهم سيتبعونه بعد أيام ، ولكنه وصل البلاد التي

غادرها قبل حين ولم يصحبه من أبناء الأميرة صيد سوى الأمير خالد فقط ، وكانت المفاجأة بعد رحيل زوجها رضوان أن اكتشفت الأميرة صيد أنها حامل منه ، فأنجبت فتاة في بلاد الأخوال وسمتها أسماء .. وهكذا ترك الملك المخلوع رضوان ابنته تربى من جديد في بلاد الغربة

****

حرم على الملك المخلوع رضوان الخروج من المدينة إلا بإذن من أخيه الأكبر ، وكذلك ولده خالد ، وأحيطت قصورهما بالجند الخاص من قبل الملك ، فمنعوا من السفر والصيد إلا بسماح الحاكم عن ذلك ، أي حبسوا في منازلهم .

ولما وصل المدينة نبأ ولادة أم خالد لابنتها أسماء فكر خالد بالرحيل لزيارة أمه فرفضوا طلبه .
وبعد حين أدرك الناس في المدينة بأنهم محتلون من قبل نائب الملك صخر الأمير مجد.. وأيقنوا أنهم أصبحوا عبيدا لمملكة الغراب ..وأموالهم تذهب لتلك المملكة .. وأن ملكهم ألعوبة بيد نائب الملك مجد ..فتأمر مجموعة من أبناء القبائل واغتالوا الملك الشيخ رياض .. واعتلى العرش مكانه ولده فراس الذي قام بمجزرة رهيبة في القبائل انتقاما لمصرع لأبيه بمساعدة جنود الملك صخر ، وهو صديق له في بلاد المنفى.. وفراس عرف بشراسته وحقده على مدينته.. فأساء لأهل البلاد رغم أنهم عشيرته وأقاربه.. وحدثت ثورات ونزاعات حادة داخل البلاد بسبب مجزرته في حق بعض القبائل.. حتى أن ثورته كادت تصل لعمه الشيخ رضوان .. ثم تراجع عن ذلك الدم ..

وقدم الملك صخر بنفسه للبلاد لتثبيت الملك فراس وشد أزره ..وأخذ عددا من الرهائن من سادات الأمراء والقبائل، وساق الأموال والأنعام ومهددا القوم وأهل المدينة بضمها لملكه للأبد ..إلى مملكته التي تكبر يوما بعد يوم .. فهدأت البلاد بعد مقتل الملك الشيخ رياض وبعد العنف الذي غمر القبائل.. وهدأت الثورات قليلا.. ولكن أبناء القبائل الذين تمكنوا من الهرب أصروا على معادة الملك فراس .. وظلوا يتصلون بالناس ويحثونهم على الثورة والتمرد ورفض الذل والهوان .. وحاولوا إقناع الأمير خالد بمؤازرتهم .. ومشى بعضهم لبلاد القنفذ وطلبوا

مساعدته في تحريرهم من الملك صخر .. فاجتمع الملك البحر ببعض زعمائهم .. وأسف لم حل برضوان وولده خالد من الهوان والحبس ثم قال لهم بعدما أظهر تعاطفه معهم وحزنه لحالهم : ماذا نستفيد من بلادكم ؟!

عرضوا دفع المال له لمدة عشرة سنين ، فأجابهم : لقد خبرت بلادكم أنها كثيرة التقلب.. ولكني راغب في مساعدتكم ..إذا قدمتم لنا كل عام عشرة آلاف قطعة ذهبية ..وأشرط موافقة الأمير خالد على هذا الشرط ، وأيضا سيكون هو الملك عليكم ..وسأفعل ذلك إذا رضي للصداقة التي كانت بيننا قديما أيام الصغر .. والمال الذي عرضتموه علينا هو ثمن للحرب وللجنود الذين سيبقون في بلادكم للمحافظة على السلم ، ومنع الغزاة من المسير إليكم.. شاوروا شيوخكم والأمير خالدا ، ثم عودوا إلينا بكتاب من الأمير راضيا بما تفاوضنا عليه .

وللجروح والنكبات التي أصابتهم من فراس وصخر ومجد رأوا شروط الملك ريح أخف وطأة من احتلال صخر لمدينتهم .

ولما علم الأمير خالد بموافقة الملك البحر على التعاون معهم للقضاء على فراس الوحش كما يسميه أهل المدينة لوحشيته معهم بعد مقتل أبيه وإسرافه في الانتقام دون التروي فيمن له يد في مصرع أبيه ، وافق الأمير على المؤامرة .

ولما جاءوه برضا الأمير على شروطه قال لهم :اعلموا أيها السادة أنه إذا حدثت فتن بعد تمكين الأمير خالد في الحكم ببلاد الماعز سأقوم بضم بلادكم لمملكتنا رغم أنوفكم ..فنحن سنسعى لاستقرار البلاد .

وبعد تشاور الوفد من جديد سلموا للملك البحر بهذا الشرط ، وتعهد الوفد على الوفاء بتعهداتهم للملك البحر ، وأنهم ينشدون السلام والاستقرار في مدينتهم كما كانت في عهد الملك رضوان وشامخ من قبله .

أعلن النفير في بلاد القنفذ ، وأعد الملك البحر جيشا يتكون من ثلاثة آلاف فارس للزحف في الحملة الأولى ، ولسوف يتبعهم جيش آخر مقداره ألفان من الفرسان .

ولما وصل الفرسان قرب بلاد الماعز كتب الملك البحر رسالة للملك فراس، وأعلمه فيها بأنه يغزو بلاده رغبة عن طلب الأهالي من قومه ، ويحثه على الاستسلام وخلع نفسه ، وأنه يتعهد له بحفظ حياته وحياة من شاء من أسرته وأبنائه أو يخرج إلى حيث كان منفيا مع أبيه .

كان الملك فراس يعرف كره الناس له ولأسرته منذ طردهم من البلاد على يد الملك الحصان .. وأن الجند الذي يحيط به لا يصلح للقتال ..وليس له إلا الاعتماد على جنود الملك صخر والذين يقودهم الأمير مجد ..فتشاور مع مجد الذي رغبه بالدفاع ريثما تصل النجدة من الملك الغراب . فطلب من أكبر أبنائه الخروج لقتال الملك الغازي ، وهو خرج هاربا نحو صاحبه صخر ، فهو يعلم لو قبض عليه أبناء القبائل التي سحقها سيشربون من دمه ويمثلون بجثته كما فعل بأبنائهم ليقذف في قلوبهم الرعب .

ولما التقى به الملك صخر قال : لقد ندمت على تحريض أبيك على الطلب بملك سكت عنه عشرين سنة .. إنكم مكروهون من الأهالي وهواهم مع غيركم .. ولكني سأصر على القتال معكم والدفاع عنكم .

وجاءت الملك صخر رسالة خطيرة من الملك البحر يطلب منه سحب جنوده من بلاد الماعز ، وإذا قاتلوا مع جيش بلاد الماعز سيحتل مدينتهم ويدمرها .

فاغتاظ الملك لهذا التهديد ، وكان قد أعلم قادة جيشه بالاستعداد للعودة لبلاد الماعز والدفاع عن نصف ملكهم لها فقال للرسول : اخبر مولاك بأننا قادمون للقائهم ودحرهم والقضاء عليهم .

وبينما الجيش يزحف متجها لبلاد الماعز التقوا بالطريق ببقايا جندهم وأنصار الملك فراس الذين أعلموهم أن البلاد أصبحت تحت سيطرة جيش الملك البحر.. وقد نصبوا ابن الملك رضوان ملكا على البلاد .. فهو صديق للملك البحر في طفولته .

توقف الملك عن متابعة الزحف، ورأى أن مؤازرة الملك فراس معركة خاسرة ، فهذه بلاد تمزقها القبائل وتتقاسم سيادتها ومن الصعب تغيير التقاليد والعادات التي درجوا عليها من مئات

السنين .. ولكن كبرياءه وهيبته أمام جيشه والمدن التي تغلب عليها وضمها لملكه تؤرقه لم تسمح له بالتراجع فأمر بمتابعة الزحف قائلا : لا تحلو الحياة إلا بالمعارك والمغامرات .



الحرب

واصطدم الجيشان على أطراف بلاد الماعز من جهة بلاد الغراب، ودارت رحى معركة قوية لا ينساها من خاض غمارها ، وبعد أيام من القتال المستمر أخذت جنود الملك صخر بالتقهقر والرجوع لبلادها.. يتحركون في الليل نحو مدينتهم.. وفي النهار تتبعهم جنود وكتائب الملك البحر.. وظلت الجيوش تزحف وتطارد حتى دخلت مدينة الملك صخر ..واحتلت قصر الملك صخر نفسه ، وصادرت الكثير من الأموال والخيرات من إبل وأنعام وسلاح .. وخلال هذه المصادرة أرسل الملك البحر الرسول الذي أرسله من قبل للملك صخر يطلب من التسليم والخضوع ، ويأتي طالبا العفو من الملك البحر.. فرفض الملك صخر العرض، وأخذ يلملم فلوله وأنصاره في إحدى القرى ، ويستعد لجولة جديدة من القتال حتى الموت .. فرخص الملك لرجاله لما جاءه الرفض بسبي نساء وبنات الأمراء واتخاذهن جواري وزوجات واتخذ الملك نفسه أم الملك صخر الأرملة زوجة له ، وجرى الاحتفال بزواج الملك البحر في قلب مدينة الغراب ، ولما علم الملك صخر بهذا الزواج حنق على نفسه وعلى أمه ، وتمنى قتلها بنفسه .

وقال لرجاله وكله غضب : لن أخضع له ولو تزوج حتى بناتي .

وهمس بعض أعوانه في أذنه أن يستغل زواج أمه للغدر بالملك البحر .. ويعلن الاستسلام ويتظاهر به، وأخذ يفكر هو وأعوانه بحيلة لتحقيق ذلك الهدف ..

وأتته رسالة من الملك البحر يخبره بزواجه من والدته دون إكراه، ويحثه على الخضوع والعودة ليبقى ملكا على مدينته .

وقد قام عدد كثير من الجند والقادة بالزواج من أميرات المدينة سواء المترملات أو العزباوات وقد أدرك الملك البحر أن عند الملك صخر قسوة وكبر وعناد .. فقرر الانسحاب من بلاد الغراب بعد أن أصبحت خرابا ، وعاد لبلاد الماعز التي أقام عليها صديقه خالدا ملكا وقد بايعه الناس .

وأما الملك صخر فعاد لبلاده باكيا حزينا لما أصابها من دمار وحرائق ، وتذكر ما كان يفعله في

المدن التي كانت تجتاحها جيوشه عندما تنتصر على مدينة أو جيش .. فبعد بكاء تعهد أمام رجاله على الاستمرار في القتال وقتل الملك البحر رغم تزوجه أمه ، ولن يثنيه هذا الزواج عن عداوته واغتياله ..وأخذ يرمم ما دمر من القصور والأملاك .. ولما بدأت الكارثة تخف على نفسه دعا خادما خاصا اسمه سمر ، وكلفه بالسعي على اغتيال الملك البحر .. فوافق الخادم على ذلك الطلب وسعى إلى رفيقين له وغادروا بلادهم .. وهذا الخادم مشهور بالقسوة والشجاعة وسيف سيده ، وكان مكلفا بالمهمات الخطيرة والخفية .

دخل سمر العبد الشجاع ورفيقاه بلاد الماعز .. وعلم أن الملك البحر اتخذ قصرا من القصور التي هجرها أصحابها إما بموت أو هرب ..وعلم أن مكثه هنا لحين من الزمن حتى تستقر الأوضاع في البلاد ..

وعلم أن الوفود والأعيان ما زالوا يتوافدون عليه للتهنئة بالانتصارات والتبريك بالزواج من أم ملك بلاد الغراب .. وأنه الآن الملك الحقيقي في البلاد ..وأنه طلب من قادته تأسيس جيش جديد من الفتيان والشباب الصغار ..

ورأى تزلف الأمراء والسادات له بالهدايا والهبات ، فلم عرف هذه الأشياء أخذ سمر ورفيقاه بالبحث عن حيلة ماكرة يغتالان بها هذا الحاكم القوي .

ووقع في نفسه الاتصال بالملكة الأم " ربى " أم الملك صخر ..ولكنه خشي أن تفضل زوجها الجديد على ولدها وتفضح أمره .

وذات يوم وهو يراقب القصر لمح خادما يعرفه من خدم الملكة الأم خارجا من القصر فسر من ذلك الاكتشاف وقال : لابد من الاتصال بهذا الخادم ..أنا كنت أعرف الكثير من خدم الملكة وهذا أحدهم .

فتبعه في رحلته ، وفي مكان بعيد عن القصر اعترضه مدعيا أنه التقى به فجأة قائلا : ويك !.. ماذا تفعل هنا ؟ ألست من خدم الملكة الأم ربى ؟!

ـ أجل ، وألست من خدم مولانا الملك صخر ؟!

ـ بلى ..ولكني هنا لقتل زوج سيدتك الملك البحر .

انتفض الخادم وقال مرتعبا: ويحك أتخسر حياتك من أجل ماذا ؟!

ـ أريد مساعدتك ؟

ـ لتصبح مولاتي أرملة مرة أخرى .

ـ أسعيدة مولاتك بزوجها البحر؟

ـ إنه ملك شريف وقوي .. ولو صرعته أتظن أنك تنجو بفعلتك؟! إن رجاله مخلصون محبون له .. وهو لم يعتد على بلادنا إلا لاعتداء ملكنا على هذه المدينة .. والملك خالد صديقه .. وهو ملك ليس من سلالة ملكية .. ابن رجل مثلنا ..

قطع سمر على خادم الملكة استرساله في مدح الملك البحر وقال : المهم أريد مساعدتك في الانتقام ..فقد قتل أولادي وزوجتي ..أريد أن أنتقم لنفسي .

فكأن الخادم تفاجأ بمأساة سمر فهتف: أمات أهلك؟ رحمهم الله ..ولكن يا صاحبي قتل الملك في أجناده ليس بالأمر المتيسر أيها الصديق .. ومن يضمن لي روحي ؟

ـ ومن يضمن لك حياتك بعد أن كشفت لك سري وغايتي من الوجود هنا ؟

ـ أعاهدك على الصمت وألا أتحدث لأحد .

ـ قتلك هو الضمان الحق لقتل سيدك الجديد ..فصمتك الأبدي نجاحي .

ـ سيعرفون قاتلي خلال ساعات .. للملك البحر رجال أمن أشداء وأذكياء .. وهم يعرفون أن الملك صخرا غاضب وناقم عليهم .. وهم على علم بأنه أرسل جماعة لقتله .. ولم أكن أعلم أنك أحدهم .

ـ إنك تكذب لتنجو من بطشي .

ـ اقتلني ولسوف ترى .

ـ أنا لا أريد قتلك أيها الأحمق .. أريد مساعدتك وتعاونك معي ..ولسوف تستفيد .

ـ قلت لك إن الملكة أخبرتني أن ابنها أرسل جماعة لقتل زوجها .. أقسم لك على ما نطقت به

إذا كنت أحد الجماعة فانج بروحك .. الملك البحر يعلم بذلك وقال لها : إذا جاء القدر ذهب الحذر يا أم الملك صخر .. هو ما زال يناديها بأم صخر .

قال سمر بغيظ : لا وفاء عندهن .. لقد نسيت الملك والد ابنها وبناتها .

ـ لم تنسه يا أخي .. وهذا ملك طلبها وتزوجها ..وبعض بناتها تزوجن من أمراء بلاد القنفذ ورحلن إلى هناك .

ـ ألا تريد التعاون معي لأشفي غليلي ممن أهلك أولادي وامرأتي؟

ـ يا أخي كيف سأساعدك؟

ـ أن توصلني حجرة الملك .

ضحك الخادم وقال متهكما: وهل يسمح لي بالوصول لحجرة الملك؟!..أنا الملكة لا أدخل حجرتها، وهي ملكتي منذ عشرات السنين.. اقتلني اليوم قبل أن أقتل غدا ..هذا صعب فرجال الملك يحرسونه ، ولا يسمحون لشخص مجهول بالدخول إلى مخدعه ولو كان وزيرا يا هذا .

ـ ألا طريقة ألا حيلة عندك؟

ـ نحن لنا معهم بضعة أشهر ..هات طريقة من عندك ..وإذا ساعدتك وانكشف أمرك إياك أن تذكرني بشيء .. عدني بذلك .

ـ الآن عدت لأصلك وجنسك.. أعدك إذا قبض عليّ ألا أتحدث عنك بشيء .. واعلم أنك إذا وشيت بي أن الرجال الذين يساعدونني في انتقامي سيقضون عليك .. وسوف أخبرهم عندما ألتقي بهم بعد ساعة من الزمن .. سوف ألقاك بسوق النحاس بعد يومين .

اختفى الخادم وكذلك سمر، وبعد يومين سعى خادم الملكة لسوق النحاس للقاء الرجل فاقترب منه وحياه، فأشار له أن يتبعه .. فسار خلفه على بعد عشرين خطوة .. حتى خرجا من المدينة إلى القرى والصحراء ، ولما صارا في الخلاء وبين الجبال قال سمر للخادم : إذا نجحنا في قتل عدونا البحر، ونجونا يا سعد سيكون لك عند الملك صخر مقام كبير .. تسعد به أنت وذريتك للأبد .

ـ أنا خادمك المطيع .. ولن أنسى أفضال الملك الوالد ولا ولده الملك صخر .

ـ والآن كيف يمكنك مساعدتنا ؟

ـ قلت لك أنا لست بصاحب حيله مثلك ..أنا أخبر بأمر فأنفذه .. واعلموا أن الملك قد يرحل قريبا إلى بلاده .. وقتله هنا بالتأكيد أسهل من بلاده حيث الفرسان والحرس .

ـ معك حق ..ولم يهن عليك ما فعل بي اللعين .. ولا بأهل مدينتك ..وأنت الآن زدت ثقتي بك وخشيت أنك حضرت وخلفك عيون الملك؛ فلذلك أبعدت بك النجعة ..وأقسم لك إننا إذا فزنا ستكون من المقربين ومن حاشية الملك صخر .. وستدع العبودية والهوان وتصبح حر نفسك ..حدثني عن تحركات الملك ، ومتى يدخل جناح الزوجات والحريم .. وهل معه حليلة غير أم صخر ؟

ـ نعم .. معه الأميرة شام ابنة سيده هزيم الرعد الملك الذي ولاه من بعده.

ـ أخبرني متى ينامون ؟.. متى يأكلون ؟.. كيف هي حياتهم داخل القصر ؟ وكيف يمكنني الدخول يا سعد ؟

ـ اعلم أن كل رجاله من بلاد القنفذ .. ولا يوجد في قصر الملكة الأم من بلادنا سواي وثلاث جاريات رافقن الملكة أثناء رحلينا لبلاد الماعز .. ولكن هناك حفلة ستقام للتشهير بالملك خالد ملكا على البلاد والعباد .. قد تجدون في هذا الاحتفال الكبير ثغرة وفرصة .

ـ وهل سيكون البحر في الحفل ؟

ـ الأكيد نعم ..فالملك خالد كان صديقا للملك البحر في طفولته ..وروى له شيئا من قصة خالد وريح البحر .

ـ هذا البحر لم يكن ملكا بالوراثة كما أشرت إلى ذلك في المرة السابقة .

ـ نعم ، هو الذي صنع مملكة بلاد القنفذ .. وصار ملكا عظيما تلجأ إليه الملوك للمساعدة في تثبيت حكمهم وملكهم .

ـ حسنا يا سعد .. فلنرجع للمدينة الآن .. وليكن لنا لقاء في سوق النحاس بعد يومين للتشاور

وتبادل الأخبار والأنباء .

*****

الملكة الأم قد لاحظت هي وجواريها الثلاث كثرة خروج الخادم من القصر دون إذن، وكانت لا تظن في ولدها خيرا ، وتعلم حقده على بعلها البحر ، وهي أدرى الناس بخلق ولدها صخر وأن حقده وكرهه كبير، وأنه لن يغفر لملك البحر الزواج منها .. فتوجست خيفة من فعل الخادم الوحيد الذي جاءت به معها من بلادها ، ورغم ثقتها القديمة به ، فقد تضايقت من خروجه بدون علمها .

وهي خبرت الملك البحر وقوته وشدة إخلاص رجاله إليه، فإذا تعرض لحادث فربما يضطر لقتل ولدها الوحيد ، ويفني عشيرتها وقومها ..فهمست بأذن بعلها البحر شكوكها حول الخادم قائلة : أخشى أن يتصل به أعوان ولدي ، ويغرونه بالتعرض لك .. فأنا أعلم الناس بحقد وبغض ولدي ..فالكبر قاتله .. فيحتاج لزمن طويل حتى يتغير للأحسن أيها الملك العظيم .

شكر لها الملك إخلاصها وخوفها عليه وعلى ولدها ، ثم قال باسما : اطمئني يا سيدتي الكريمة واعلمي أن خادمك قد خاننا ، وهو على اتصال بعبد من عبيد الملك صخر اسمه سمر .

ذعرت الأم لسماع هذا الاسم وقالت : ويلاه !! .. إنه وحش في صورة إنسان .. هذا الوحش ورثه صخر عن والده ..وهو سيف ويد الملك ..ومن أخلص رجاله وأعوانه ..لا تتهاون معه وما أتى إلا لأمر كبير أيها الملك المبجل ! .

ـ بوركت همتك ..وجفلك منه يدل على خطر كبير منه ؟

ـ إنه يا مولاي عبد لئيم ..وأنا يا مولاي لا أحب أن يصيبك شيء على يد ولدي ورجاله .. ولا أحب أيضا أن يصرع ولدي على يديك ويد رجالك .. فحياتكم حياة لي .. ولا أريد أن يكون بيني وبينكم دم أحدكم ..وولدي أعرف كبره وشهوته للقتل والحرب ..ولا يعرف عاطفة وقلب الأم .

ـ لا تجزعي عليّ، ولا على ابنك سنعامله بالحسنى ..وأما هذا العبد فهو يخطط لهلاكي يوم حفل

إشهار الملك خالد على الملأ باحتفال مناسب .. ورجال الحماية والخفية يقومون بواجبهم وهم من أفطن وابرع فرساننا .. وبعد إعلان هذا التتويج سنغادر المدينة إلى بلادنا العامرة ، وسنجد الأمان فيها أكثر ..فنحن هنا نعرف أن لنا الكثير من الأعداء والحساد ..هذه طباع الناس وأخطر الخطر أن يشترك رجال الملك وحاشيته بالتآمر عليه ..فهذا الخطر الداهم والخطير يا أم صخر أما الغدر من الأباعد والغرباء فهذا وارد ومتوقع .. وعلينا الحذر.. والعبد سمر فهو تحت المتابعة والسيطرة ..وصدقي أيتها الملكة العزيزة على قلبي أنني منذ سكنت بلاد القنفذ واجتمعت بسيدي ومولاي هزيم الرعد لم أجد بينهم غادر.

فقد كشف أمر سعد وسمر بسرعة لعيون الحراسة ، وهم يعلمون ويدركون أهمية المحافظة على جسد الملك البحر من أيدي الماكرين والغدارين .. وكان البحر قد أمرهم بالقبض على سعد وسمر ليلة الحفل لإرباك الأعضاء المستورين ، فهم من متابعة سعد عرفوا سمرا ؛ ولكنهم مدركون أن لهم أعوانا آخرين .

فهم وصلوا لمسكن سمر؛ ولكنه كان يعيش فيه وحيدا ، وكان أمير الحماية الأمير أسعد يصعب عليه تصديق أن سمرا جاء من بلاد الغراب ليغتال الملك البحر وحده .. بل عيونهم التي قبعت في بلاد الغراب أعلمتهم أن مجموعة من ثلاث رجال خرجت لارتكاب جريمة في بلاد الماعز . ورغم قناعة سعد خادم الملكة بضعف الوصول للملك البحر والنيل منه ؛ ولكنه بعد سماعه كلام سمر والأحلام التي وضعها بين يديه من السيادة والحرية والزواج وافق على التعاون مع سمر ونسي الملكة .. ورغم عيشه كل هذه الحياة بدون طموح والرضا بما هو فيه استطاع سمر إغرائه وقلبه على مولاته الملكة ..وقد كان سعد يعلم من هو سمر عند الملك صخر مع كونه عبدا مثله ..كان كأنه وزير غير متوج .. فطمعت نفسه لأن يكون مثل السيد سمر .. فسقط في براثن الخيانة .. لذلك تابع الاتصال والاجتماع بسمر متوهما أنه ذكي وأن القوم يجهلون ما يمكر به .

وقبل يوم المهرجان الليلة السابقة للاحتفال عندما أراد الخروج من القصر المقيم فيه الملك البحر

أراد سعد الخروج كالعادة التي دأب عليها حديثا فمنعه رجال القصر وحاول أن يقنعهم برغبته بمشاهدة الاحتفال .. فوعدوه عند ساعة الاحتفال أن يسمحوا لك بالمغادرة لبعض الوقت .. فعاد لمقر نومه مرتبكا وقلقا وحزينا ، وأن سمرا سيظن به الظنون .

وسمر فعلا ظن به السوء عندما لم يحضر إليه للاجتماع الأخير قبل الاحتفال فلعب الوسواس في عبه وصدره .. وانتظر لليل ولم يحضر الرجل فازداد حنقا وخوفا .. وجلس في مسكنه حائرا من تأخر سعد.. وعند منتصف الليل سمع طرقا على الباب فظن للوهلة الأولى أن سعدا قد حضر، فبعد أن جفل نهض قائما ـ وهو معروف بالشجاعة في بلده ـ وابتعد عن الفراش وقال باضطراب: من يطرق الباب ؟!

ـ افتح أرسلني سعد إليك .

ـ من سعد؟! هو قد سمع صوتا ضعيفا .

ـ ألا تعرف من سعد؟

ـ من سعد ؟

ـ ويحك ألا تعرف من سعد ؟ .. افتح الباب لأقول لك من سعد؟ ولماذا أنت ترتجف خوفا؟ أتظننا لصوصا وقطاع سبل .

فانتفض سمر وقال: ويلك أأنا أخاف ؟!.. وفتح الباب فرأى شبحين في ظلام الليل فقال : ما الخطب ؟

فقال أحدهم : ألا تعرف سعدا خادم الملكة ربى ؟ .. ألست أنت العبد سمر خادم وسياف الملك صخر أبي رشوان؟

لم يعقب بشيء فهو ما زال قلقا منهم فقال : ماذا تريدان ؟

ـ صديقك سعد هل عرفته ؟

ـ عرفته .

ـ ما دام قد عرفته فأعلم أنه أصيب باعتداء وهو في الطريق إليك وهو راغب بلقائك الآن .

ـ مصاب ويرغب بلقائي ، كيف أصيب ؟!

ـ تعرض له خلق فأصابوا منه وهو نزيل إحدى أماكن العلاج ..والتقينا به هناك فترجانا أن نبحث عن بيتك بعد أن تعب وهو يصفه لنا ..وبالإمارة ذكر لنا سوق النحاس ، مكان تلتقيان فيه .

ـ حسنا .. إني سائر معكم .

وأغلق الباب ، ومشى معهم ، وبينما هم في الطريق أحاط بهم عدد من الفرسان والعسس ، ثم ساقوهم إلى سجن المدينة ، وحاول سمر رشوة حراس السجن للسماح له بالخروج لحضور حفل التتويج الملكي ، ولم يوفق في ذلك ، وظل الرجلان اللذين أسرا معه معه في السجن ، وهما من رجال الأمير أسعد.

****

بدأت الوفود المشاركة في الحفل تتوافد منذ الفجر إلى الميدان وساحة الاحتفال ، ويؤشر لهم القائمون على ترتيب الاحتفال بالجلوس في الأماكن المخصصة لهم .

وقد وفدت أم الملك خالد لحضور الاحتفال بتتويج ابنها البكر ملكا على بلاد الماعز السمرة ، ومعها أشقاء الملك خالد وبعض أقاربها ، وامتلأت الساحة بالضيوف وأهالي البلد ، وأحاط الحرس والجند بمكان الاحتفال بشكل جيد ، وكان أغلبهم من جيش بلاد القنفذ ..وتكلم الخطباء بما يليق بالملك الجديد، وقدم بعض الشعراء قصائد المدح في الملك البحر والملك خالد وتمنوا دوام العز والصداقة بينهم ..ورحبوا بالحلف القائم بين المدينتين .

وكان الملك البحر يجلس في وسط القوم ، ويهنئ الناس الملك خالدا ثم يحيون الملك البحر ، وكان بعضهم أو جلهم يرى أن الملك الحقيقي للبلاد هو الملك البحر ..ولما انتهى الخطباء والشعراء قدمت الهدايا للملك الجديد .

ودعوا الناس للموائد التي أعدت للجميع من سادة وساقة ، ثم قام بعض الفرسان بالتبارز واللعب أمام الملك وضيوفه ، ثم أخذت الجموع تنسحب رويدا رويدا ، وأخذ الأكابر والأمراء

يتفرقون ، ولما لم يبق إلا القليل من الضيوف ـ وقد كان أحد الشعراء يهتف بقصيدته مادحا للملك البحر في تحقيقه الأمن والحياة لبلاد الماعز ـ حصلت في إحدى النواحي ضجة لفتت أنظار الملكين والوزراء .. ثم تبين أن رجلين كانا قد اندسا بين الحرس بزيهم المميز كانوا يحاولون الوصول لمنصة الملكين .. ولكن أحد الحراس انتبه لهم وأدرك أنهم ليسوا من الحرس الملكي ومنع أحدهم من تصويب سهمه جهة الملوك فأصاب السهم المنحرف أحد الجنود .. وكان السهم الغادر مسموما ، فصرع الجندي بعد وقت يسير .. وقبض على الجاني وشريكه .

ولما انتهى الحفل غادر الملك خالد الساحة لقصره ، وفعل مثله الملك البحر وحاشيته ..واطلع على تفاصيل حادثة محاولة الاغتيال من الأمير أسعد قائد الحماية والخفية ، فكلفه بسماع أقوالهم بالتفصيل ، ولم قدمت له أمر بقتل الرجلين اللذين قتلا الجندي ، وأمر باستمرار حبس سعد وسمر في بلاد الماعز ..وأخبر أعوانه بالاستعداد للرحيل والعودة إلى بلاد القنفذ ، وترك حامية من خمسمائة جندي لحماية الملك خالد حتى ينتهي العهد الذي تعهد به سادة بلاد الماعز للملك البحر .. وكذلك يتكّون الجيش الجديد .

وبعد أيام ثلاثة خرجت الجنود والملك البحر من بلاد الماعز ، وكان الملك قد أوصى صديقه بالعدل والابتعاد عن الظلم ، وحثه بالشدة على المعتدين وتقوية الجند وحسن انتقاء أفراده .. ولما وصلت الجنود بلاد القنفذ خرجت الناس لاستقبال مليكها المظفر وفرسانها وأبطالها ، وقد جاءوا بالأموال الكثيرة والسبايا والرقيق .. وأطعم الناس والفقراء ، ووزعت الهدايا على القادة والأمراء ، وزوجت الأرامل من الفرسان والأبطال كعادة أهل البلد منذ عهد الأمير هزيم الرعد .

وبعد حين يسير جاءت الرسائل السرية مخبرة للملك أن بعض رجال الملك خالد يتذمرون من الجزية المفروضة عليهم حسب العهد القائم بينهم ، ويحرضونه على عدم دفع المال المعقود بينهم وأن على صديقه البحر التخلي عن هذه الطلب ما دام يدعي أنه صديق عزيز لك .

فطلب الملك البحر من رجاله وقومه الصبر حتى يأتي موعد القبض المتفق عليه بين أهل المدينتين

وأعلمهم أن هذه مدينة يعشق أهلها الفتن ، ويكثر فيها المستشارون للحاكم ، وأعلمهم أنه لو حصل أي خلل في تحقيق الشروط التي قاتل عليها سيضم بلاد الماعز لبلاد القنفذ ، ويضع عليها ملكا من بلاده ، وأمرهم بالصبر والتحمل حتى يحدث الله أمرا .

ثم جاءه خبر مفاده أن بعض حاشية الملك خالد تحثه على وضع حرس من بلاده ويبعد رجال الملك البحر عنه ، فأرسل الملك البحر رسالة تقرأ أمام حاشية الملك يحذرهم من الغدر برجاله والعصيان، وأنه إذا اضطر للمجيء إليهم سيحكم البلاد بنفسه وبجيشه وأنصاره ، وسيضمها لبلاد القنفذ رغم أنوفهم .



أبناء ريح البحر

يعرف القارئ الكريم أن الملك البحر قد تزوج أول مرة بعد دخوله بلاد هزيم الرعد امرأة اسمها سلمى وقد ولدت أكثر أبنائه .. بلبل ، وحسن ، وزيد ، وعامر ، وسيف ، وعندما تزوج ابنة الأميرة هزيم الرعد بعد ترملها على بعض الأولاد ولدت للبحر ولدا واحدا سماه ليثا وبنتا اسمها شهر ، والملكة ربى أم الملك صخر كانت كبيرة في السن ، وربما تقارب في العمر الملك البحر ، وقد تزوجها لإخضاع ابنها صخر ، ودفعه لعدم التدخل في شأن بلاد الماعز ، ولكن الملك صخرا اعتبر هذا زواج الغالب رغم معرفته أن أمه تزوجت برضاها ودون ضغط للحفاظ على حياته هو ، وعلى ملكه وحقن دمه ، وهذا ما حصل طبعا .

ولما انتهى الاحتفال بالنصر في البلاد ، وعم الفرح بلاد القنفذ ، أخبرته الأميرة سلمى زوجه الأولى التي زارته في بلاد الماعز بعد عودته من بلاد الغراب ، وكان عدد من أبنائها الكبار قد شاركوا في هذه الحملة الكبيرة ، وسافرت لتشارك في الحفل الكبير الذي أحب الملك البحر تقديمه لصديقه القديم ، وعرفانا لأمه صيد التي أحبها صغيرا كأم له .. فقد التقت هذه الأميرة بنساء الملوك والوزراء الذين دعوا لهذا الحفل الكبير.. وسبق أن ذكرنا أن أم خالد صيدا حضرت هذا الاحتفال الخاص بتشهير ولدها البكر ملكا على بلاد الماعز ..وكان من ضمن نساء بلاد القمحة بعض شقيقات صيد أي خالات الملك خالد .. وهؤلاء من عادتهم إذا دعوا إلى مثل هذه المواسم أن ترافقهم بناتهم الشابات .. فرأت الأميرة سلمى فتاة أعجبتها جمالا وأدبا اسمها زهرة .. وهي ابنة ثلاثة عشر عاما .. ومالت إليها ورغبت بتزويجها لأحد أبنائها المحاربين في جيش أبيهم .

أخبرت الأميرة زوجها بهذه الحسناء زهرة ، وأنها تصلح زوجة لولدها حسن أو زيد ، فهما لم يتزوجا بعد ورغم تجاوز سنهما العشرين سنة .. وأعلمته أنها حدثت حسنا بهذه الغاية .. فلم يرد عليها فصلا إلا بعد سماع قول أبيه الملك .

ففكر الملك بهذا الزواج وهذه العروس قريبة الملك خالد والملك عدنان.. فهو يعرف أخوات

الملكة صيد أيام صداقته لخالد في تلك المدينة .. ورأهنّ أكثر من مرة أثناء وجوده مع خالد في قصر أمه ..فكن يترددن عليها للزيارة والسمر ، ولكنه لا يعرف زهرة هذه ؛ لأنه كما يعلم القارئ الكريم غادر تلك البلاد منذ زمن بعيد ، وكذلك لم تكن الفتاة قد خلقت بعد .

فقال لزوجته : إني أعرف هذه الأم ..فقد قضيت مطلع عمري في تلك البلاد .. بل أعرف بعض أبنائها الذين تدربوا معنا في حصن التدريب ..وأن زوجها هو ابن عم لها على ما أذكر ، وهو الأمير حسان ، وهو رجل شجاع ، وقد التقيت به كثيرا في حصن التدريب وفي المهرجانات وزوجه الأميرة امرأة فاضلة أذكرها الآن بشكل جيد .. هل فاتحتيها بالأمر ؟

ـ سألتها فقط هل ابنتها متزوجة؟ .. " فقالت تنتظر الفارس الجميل بعد" .. "وقالت والدها لا يرغب بتزويجها ، فهي ولدت في سن متأخر عن أخوتها .. فكل أبنائه متزوجون .. وهي ترفض الزواج كما يرفضه والدها ..وهي متعلقة بالفروسية والصيد مع والدها .. فلا يخرج أبوها للصيد إلا وتصحبه الأميرة زهرة ".

ـ يعني أنهم لا يرحبون بزواجها ؟!

ـ ربما لم يتقدم إليهم الفارس الجميل كما قالت أمها ..يريدون الكفء لهم .. أو إنهم يرونها صغيرة على الزواج وأمامها بضع سنوات أخرى للهو والصيد .. فقد رأيت ألا أكلمها عن الزواج حتى أشاورك في الأمر وريثما نعود لبلادنا هذه .

ـ أحسنت الفعلة!.. أنا نشأت في تلك الديار أيتها الأميرة كما تعلمين.. ابن رجل فقير أشفق عليه والد الملك عدنان وصيد.. ولأنه قتل في خدمة الملك عنان ألحقوا ولده في حصن التدريب مع أبناء الأمراء والأشراف .. وذلك كان لما ترملت أمي وكنت يومذاك وحيدها.. وقدر لي مصاحبة الأمير خالد وأشقائه .. فتقربت من الأسرة المالكة أنا وصديقي هلال .. ثم تزوجت أمي فابتعدت عنها كثيرا .. ولما استقررت هنا علمت بموتها من أحد الأصدقاء القدامى .. ولما صرت سيد هذه المدينة أرسلت رسولا لأخوتي من أمي ـ وهم سبعة بين ذكر وأنثى ـ ودعوتهم للحياة في بلادنا فاعتذروا جميعهم .. وهم مرتاحون في تلك البلاد، ويخصهم الملك بعنايته بعدما

ظهر أمري للعلن ، وهم في وئام وسعادة في بلادهم وذلك بفضل من الله وحده .. والحق كان زوج أمي طيبا وسخيا .. عرض عليّ الحياة بين أولاده من زوجته الأولى.. ولكن لما وجدت راحتي نوما وأكلا في حصن التدريب اعتذرت له وشكرته .. وكنت أتردد عليهم كلما أتيح لي ذلك .. فأجد منه حسن الاستقبال والإكرام ..بل قدم مع وفد بلاد القمحة ليسلم عليّ ، ويشارك في حفل الملك خالد .. ودعوته لزيارتي في هذه البلاد والحياة هنا.. فوافق على الزيارة فقط ..هو ابن تلك البلاد من عدد لا يحصى من الأجداد كما يقول ، فلا يستطيع الحياة في غيرها من البلاد وأهل البلاد لما عرفوا بأن الملك البحر ابن مدينتهم ، فيكرمونهم غاية الإكرام ويراعون شأنهم.. بل سمحوا لبعض أحفاده بالتدرب في حصن التدريب ؛ ليكونوا من الفرسان في مستقبل الأيام ولابد أن بعضهم تحقق له ذلك .. أما الزواج أيتها الأميرة .. لا أدري هل يقبلوننا أم ينظرون إليّ بأني ذاك الشاب اليتيم الفقير؟!

فقالت وهي تدرك الحقيقة التي همس بها زوجها الملك البحر: فلنحاول أيها الملك العزيز .

فضحك للحظات وقال : يجب أن نحاول .. فملكنا اليوم بفضل مولانا سبحانه أكبر من ملكهم ، وفرساننا أكثر من فرسانهم ..حسن أو زيد .. أنا لا أدري لماذا يمتنعان عن الزواج لليوم ؟! فابني من الأميرة (شام) قد تزوج وصار له ذرية .. بل بلبل يرغب بالزواج ثانية ولكنه لا يريد أرملة ..كسائر فرساننا ..

ـ حسن ترك الأمر لك ..فأي عروس نختارها سيقبل بها .

ـ سأفكر في الخطب جديا ، ثم أجد وسيلة للاتصال بهؤلاء الناس .. فالأمير زياد والأمير يزيد ما زال ودهما لي كبيرا هم أشقاء الملك خالد ..فهم من أصدقاء الحصن ..ولما التقينا في بلاد الماعز عانقاني بفرح غامر ، وسعدا بما وهب الله لنا من الملك والتاج ..وتمنيا لي كل خير وسعادة ودعواني لزيارة مدينتهم إذا تيسر لي ذلك .. وهذا زياد له قصة غصة في بلاد الماعز

ـ كأنك تحدثت أمامي عن بعضها ؟

ـ ظلم الرجل من قومه وحمولته ، أجل فهو لا يحب بلاد الماعز ، وعاش في كنف أخواله ،

وظل وفيا لهم ، وتزوج منهم ..فأبوه رضوان الملك المخلوع من قبل أخيه رياض ..وهو اختار العيش مع أمه رغم اعتراف أبيه بنسبه قبل سنوات .

ـ هل تعلم ـ أيها الملك العزيز ـ أن الملكة صيدا قد ولدت من زوجها بعد أن عادت إليه ردحا من الزمن ..

ـ ولدت له .. يا الهي !

ـ والغريب أنه طلقها ثانية وولدت في بلاد أخيها الملك !

ـ حظ هذه المرأة عجيب !.. لقد رفضت النكاح أثناء طلاقها من زوجها من أجل أولادها .. وكرهت الرجال للتهمة الشنيعة التي ألصقت بها من قبل أهل زوجها

ـ لها بنت طفلة اسمها أسماء .. رأيتها معها أثناء وجودنا في بلاد الماعز ..

ـ امرأة صابرة على قدرها .. كانت رغم أنها ابنة ملك تحترمني أنا وصاحبي هلال وتسمح لنا بمشاركة خالد طعامه ..ولم تعترض على صحبتنا لابنها وأخويه الآخرين .. كنا نحبها ونشعر بأنها أم لنا جميعا .



كانت المصاهرات في القديم من وسائل تقوية الأواصر والعلاقات بين الملوك والقبائل والبلدان وتنتج تحالفات تدعم الملوك في دفاعهم عن بلادهم أو هجومهم على غيرهم .

ويدرك الملك البحر فوائد مصاهرة الملوك جيدا ، وقد رأى ما فعل الملك الحصان في بلاد الماعز على أثر اغتيال كريمته بتهاون الملك رياض ، وذلك مما شجعه للقتال وتنصيب أبناء ابنته ملوكا وسادة على تلك البلدة .

فتشاور مع وزيره العتيد الأمير هلال صديق العمر، وقد أعطى ابنته من الأميرة شام زوجة لأحد أبنائه ، فقال له الوزير: إن ذلك شأن مقبول وطيب وتحبه الملوك وشجعه الوزير هلال

على هذه المصاهرة ، مما دفعه ليسير وفدا كبيرا لبلاد القمحة لتحقيق تلك الغاية النبيلة ؛ وهي شرف مصاهرة الملك عدنان .

وبينما هو يوافق على مسير الوفد كانت قصة الملكة صيد تتخايل له ، وقصة زواجها في بلاد الماعز ثم قال لنفسه : أنا لست الملك شاخا لأسكت على ظلم ..

استقبل الملك الشيخ عدنان وفد الملك البحر ، وهو له معرفة سابقة بالوزير هلال أيام كان رفيقا لابن أخته وسفرهم برسالة خالد لأبيه .

وأنزلهم قصر الضيافة ، وقدمت لهم الأطعمة والأشربة والعلوفات ، ولما اطلع الملك على الغاية النبيلة من زيارة هذا الوفد فأصابه وجوم أزعج الوزير وقال : عجيب مجيئكم لطلب يد ابنة أختي وابن عمي حسان !

فلما استفسر الوزير عن سبب هذا العجب ، قال الملك : منذ أيام قلائل كان بضيافتنا وزير مدينة سعادة مملكة على ساحل البحر يخطبون لأمير من مدينتهم قد رأى الأميرة زهرة يوما ما والتفت الملك إلى وزيره همام بن علي قائلا : ما اسم الأمير؟

ـ سن اللؤلؤ ..وهو ابن أخ الملك سالم ملك مدينة سعادة .

فقال الوزير هلال : هل أنكحتموه ؟

قال الملك : لم نحسم الأمر أيها الوزير الشجاع .. لأن الفتاة نفسها لم تبد رضا مع معرفتها ومقابلتها لذلك الفارس وتذكرها إياه .. لقد التقيا في رحلة صيد قريبة من تلك البلاد .

فقال هلال : أنتم بالتأكيد لا تعرفون الأمير حسن ابن الملك البحر ..هو فارس المعارك شديد البأس .. وشارك بقوة في إقرار ملك ابن أختك الملك خالد وفي دخول بلاد الملك صخر .. وربما يكون هو الملك بعد وفاة ملكنا البحر أطال الله في عمره .. رغم أنه ليس البكر لمولانا الملك .. ولكنه أشد مراسا وذكاء من أخيه كما معروف لدينا .

فقال أحد الجلساء : لقد تعرفت عليه يا مولاي الملك ونحن في ضيافة ابن أختك الملك خالد وهو بطل وكريم كما تكلم الوزير هلال .. وهو أيضا فصيح الكلام والخطاب .

فتبسم الملك وأدرك أن هوى القوم مع الملك البحر فقال : سأكلم ابن عمي حسان وأختي الأميرة وردة ..فنحن لا نفكر بإغضاب أحد الملكين ..فكلكم أصدقاؤنا .. وتجارتنا قوية أيها الوزير مع بلاد سعادة .. والفتاة هي صاحبة الشأن والقول الفصل أيها السادة والأمراء .

ورجع الوزير هلال لقصر الضيافة وقد انشغل باله بفشل سفارته ، ثم قال للوفد : أيها القوم الأمر لله فلا تحزنوا ولا تغتموا .

ولما أخبرت زهرة بخبر وفد بلاد القنفذ ، تذكرت هي وأمها لقاءهم بأم بلبل الأميرة سلمى زوج الملك البحر ..وعادت الذكريات بالأميرة وردة إلى عهد بعيد حيث كان الفتى الصغير غاضب يتردد على قصر أختها صيد هو وخالد وهلال وهمست لنفسها وهي تستعيد صورة ذاك الشاب الصغير : سبحان الله .. يعز من يشاء ويذل من يشاء .. خالد ملك في بلاد الماعز وغاضب ملك في بلاد القنفذ .. وهلال وزيره ..إن هذا لأمر عجب !

فقال الفتاة : أين سرحت يا أماه ؟!

ولما كررت الفتاة الاستفهام أكثر من مرة قالت الأم وردة : نعم ، لقد عدت لأيام زمان .. عندما كان ابن أختي خالد فتى صغيرا يلعب بالقصر مع غاضب وهلال

ـ من غاضب يا أمي ؟

ـ غاضب هو الملك البحر .. وهلال هو الرجل القادم لخطبتك لابن صديق عمره .. قد كثر خطابك يا بنتي الصغيرة .. وهم من أبناء الملوك .

ـ إني أكره الزواج ..لا أريد هذا ولا ذاك .

ـ وهل الرفض يا فتاتي يكف ويمنع الخطاب ؟.. ألم تخلق النساء للرجال؟! ..هذه سنة الحياة الزواج كائن اليوم أو غد ..إلا إذا مات الإنسان أو أصبح غير صالح للزواج .

ـ ألا تستغني المرأة عن الرجل يا أماه ؟

ـ إلى متى ؟! فالرجل يحتاج للمرأة كما تحتاج إليه ..الأولاد من أين سيأتون يا زهرتي الجميلة ؟ ألا تحبين أن تسمعي قول صغير وحتى كبير .. أمي .. أمي ؟

ـ وأنت يا أمي من تختارين لي ؟

ـ أبوك ترك لك الخيار يا زهرة .. وأنت قدر لك أن تلتقي بسن اللؤلؤ بن غاشم شقيق الملك سالم ...

ـ نعم ، رأيته وهو فارس شاب قوي البنيان ورام ماهر يحسن الإصابة وقادر على مطاردة الصيد على ساقيه .. وعرفت من نظرته الطويلة إليّ أنه معجب بي أي إعجاب! .. ولكني لزمت الصمت طول ذلك اللقاء الخاطف في مكان الصيد .. وطوال حديثهم مع أبي .

ـ لقد استحسنك الشاب ؛ لذلك ما كدتم تعودون من الصيد حتى أرسل رجالا من قومه خاطبا لك ..ونحن قبل أن نحزم أمرنا في الرد جاءنا الوزير هلال خاطبا لابن الملك البحر .

ـ أعود سائلا من اختار يا أماه ؟ أم نرفض الاثنين وأتزوج من أبناء العمومة ؟

ـ استشيري أباك .. ما دمت موافقة على الزواج .

ابتسمت وهي تقول خجلا : أنا لم أوافق بعد يا أماه .

ضحكت الأم لحياء ابنتها وقالت : لكنك تسألين عمن تختارين ..فهذا علامة القبول بفكرة الزواج .

احتضنت الفتاة أمها وهي تقول : أنا أتسأل يا أمي الحبيبة ؟..وإذا أردتم حريتي لا هذا ولا ذاك دعوني حرة بغير زوج .. آه كم أسعد بمطاردة الغزلان والظباء في الوديان والغابات عندي مطاردة غزال أجمل من معانقة بعل .

قبلتها من جبينها وقالت وهي تبعدها عن صدرها : وهل يمنعك الزواج من الصيد ومطاردة الظباء .. زوج يحبك .. يذهب بك للصيد .. فكل الفرسان في أوقات السلم يحبون الصيد .

ـ والحمل والولادة والرضاعة .. والتربية .

ـ هذا ليس كل الحيوات ..فالرضاعة قد تقوم بها الأخريات ..وكل الذي ذكرته هو حياة المرأة مذ خلقها الله سبحانه .. الأمومة أنبل أهداف المرأة يا فتاتي الحسناء

الخيبة

عاد الوزير هلال إلى صديقه الملك البحر بدون جواب حاسم ، ولكنه وجده مهموما مشغول الفكر ، فلما سرد عليه نتيجة سفارته سأله عن سبب همه فقال : يا وزيري بلاد الماعز مرة أخرى

ـ هل حدث خطب أيها الملك ؟!

ـ قتل أربعة فرسان من فرساننا غدرا .. وأرسل الملك خالد كتاب اعتذار وأسف ، وهم حائرون فيمن تعرض إليهم واغتالهم ..فهل قتلوا من أهل المدينة أم من رجال صخر أبي شروان؟! .. وكذلك أخبرني الأمير أسعد بأنهم لم يحددوا الجهة الفاعلة للجريمة .. فهذا ما يشغلني ويملأ قلبي هما وحزنا .. يبدؤون بصيد رجالنا فردا فردا .. ما الحيلة المناسبة أيها الوزير الهمام ؟ لقد فكرت بسحب رجالنا والتخلي عن بلاد الماعز.. ولكن كل الجهد الذي بذلناه سيذهب هدرا والأموال التي طلبناها سيمتنعون عن إرسالها بسحب جيشنا ..أم نغزو بلاد الملك أبي رشوان وندمرها من جديد .

فكر الوزير قليلا ثم قال : الانسحاب كما قلت سنخسر كل جهد بذلناه لدعم الملك خالد وسنترك البلاد فريسة سهلة لصخر وأعوانه من أهل الماعز .. واستقرار الملك يحتاج لزمن حتى تتعود عليه الناس .. ويضعف أعداؤه ويقوى جيشه .. يمكننا زيادة الجند للألف مقاتل ونضع مدخلا محروسا بجندنا من جهة بلاد الغراب .. يخضع لفرساننا .. فإن عاد السكون فنعما هي وإلا نقوم بحملة جديدة للقضاء على الملك صخر .

ـ إقامة بوابة للدخول لن يمنع التسلل لبلاد الماعز ..

ـ يخفف منه .. ويحصر الدخول بالعامة والتجار ..

ـ أنا تشجعت للزواج من أم صخر لتهدئة الوضع ولاستقرار بلاد الماعز وإضعاف الرغبة لديه بالحرب ..وليعود صاغرا مسالما ولكنه حقود شرير ..قلت لي إن الملك سالم خطب الفتاة لابن أخيه سن اللؤلؤ .. وليس لابنه .. والفتاة لا ترغب بالزواج من كليهما .. هل اختارت التبتل ؟!

ـ لم تختر التبتل .. تزعم أنها غير راغبة بالزواج هذا الحين حتى تكبر بضع سنين أخرى .. لقد سمحوا لي بالحديث معها أمام خالها الملك .. فهي فتاة جميلة المحيا .. وقوية البدن لأنها تركب الخيل ، وتمشي للصيد ، وتتحدث كالرجال ..وزعمت أمامي أنها لم تتهيأ لأن تكون امرأة .

ـ ولماذا خلقت إذن ؟

ـ وأبوها لأنها ولدت على كبر دللها كثيرا كما بدأ لي .. فهذا سبب رفضها .

ـ هل أصدق يا وزيرنا أنها كارهة للرجال ؟ .. إنها تفكر بعقل طفل ..لها هوى والله أعلم بذاك الشاب .. فهي منذ رأته تعلق قلبها به وستسمع بزواجهما غدا .. وهم لا يريدون إغضابنا لما بيننا من روابط بعد تنصيب خالد ملكا .. وبارك الله في جهودك ..والأمر كله لله ..

تمتم الوزير بكلمات شكر ، وأدرك هو ما أدركه الملك البحر من هوى الأميرة زهرة ، ثم لاذ بالصمت فقال الملك : رأيك أن نزيد المزيد من الفرسان ونرسل معهم عائلاتهم هذه المرة ليطول بقائهم هناك حتى إذا عجزنا عن تحقيق الهدوء والأمن في تلك البلاد يكون حكمنا لها جاهزا دون عناء .. فأنا لا أقبل بموت أبطالنا سدى وكالعصافير ..اطلب من قائد الجيش أن يرسل نصف الألف بأسرهم .. واكتب لخالد بذلك .. وأن يرسل الأموال المتفق عليها لهذا العام لنرى ما يكون من رد القوم .

خرج الوزير لتنفيذ الأمر ورغبات الملك البحر ، وانصرف الملك نفسه للحديث بشأن سفارة الوزير الفاشلة .

ولما سمع جنود الملك خالد بأن جيشا من بلاد القنفذ قادما للاستقرار في بلادهم عادوا للهدوء والانكماش والخضوع .. بل شجعوا الملك ليرسل المال المتفق عليه للملك البحر .

أرسلت بلاد الماعز الدفعة الأولى من الأموال لبلاد القنفذ حسب اتفاق رؤساء العشائر مع الملك البحر .. ومع الوفد رسالة من الملك يخبره فيها بأنه سمع بوفادة وزيره هلال لطلب يد ابنة خالته وردة ..وأنه مسافر إليهم ليرى أمه صيدا وخالته وردة ليشفع عندها لابنه ، ويرجوه ليخفف عنهم الضريبة التي فرضت عليهم أو يعفو عنها .. لأنها تثير الشبهات حوله عند العامة ..

ويتهمونه بأنه مندوب عنه في بلاد الماعز وأنه لعبة في يد الملك البحر ..

قرأ الوزير الرسالة بعدما اطلع عليها الملك فقال الوزير : هذا المال يا مولاي يجهلون أنه ليس حقي ولا حقك .. هو حق للبلاد كلها .. فالجنود هم الذين ضحوا من أجل تحريرهم أليس كذلك يا مولاي ؟

أخذ الملك بالضحك وقال : وهو كذلك يا سيدي الوزير !.. هم يظنون أن أموالالمملكة لنا خاصة كما ينظرون للمال في مملكتهم ..

ـ اليوم المال وغدا سحب الجند .. والعودة للقتال بين القبائل الثلاث .. لدي فكرة رهيبة يا مولاي إذا عادت القلاقل في بلاد الماعز ..

ـ ما هي أيها الهمام ؟

تبسم الوزير لحماس الملك لسماعها وقال : تشتيت قبيلة الملك خالد .. ونفيها بين المدن المختلفة

ـ ولكنهم أكثر الناس هناك.

****

اضطر الملك البحر أن يكتب للملك خالد معتذرا عن مطلبه برفع المال المضروب على بلاد الماعز، وأبان له أن هذا المال يذهب لخزانة المملكة والجند ، وهناك وزير مال ينفقه على مصالح البلاد كسائر الأموال التي تنفق في البلاد ..وأنه لا يملك إلا ما خصص له كمحارب وملك على البلاد ، ثم شكره على عرضه للتوسط لزواج ولده من ابنة خالته ، وطلب عدم شفاعته في هذه القضية .

فلزم الملك خالد الصمت ، وإن ظل الأمل يراوده بالخلاص من شروط الملك البحر التي قبلها أيام ملك الملك فراس ..الذي تنازل يومذاك عن نصف المملكة للملك صخر .. وقال مواسيا نفسه: ستذهب السنوات العشر .. وتتحرر البلاد من هذا العبء المالي ..أهل هذه المدينة كانوا يدفعون نصف أموالهم للملك صخر أيام عمي رياض وابنه فراس ، واليوم يعيرونني بأنني ذليل وأجير عند صديقي البحر .. قاتلكم الله من جبناء ..

وخطر وفكر الملك بأن يتزوج من ابنة خالته زهرة ليغيظ الملك البحر ووزيره هلال .. ولكنه بعد تفكير ونظر هاب تلك الخطوة ..وجبن وقال : غاضب فارس شجاع منذ صغره وكذلك هلال الوزير .. وعليّ ألا أنسى علاقة خالي الملك ببلاد سعادة ..فأنشط تجارة قائمة بين تلك المدينتين ..فيضيقون عليهم موارد رزقهم ..فكظم سره وأمانيه في قلبه .

ولكنه كشف همسات قلبه لإحدى زوجاته ، وهو زائر في بلاد القمحة ..وأنه يفكر بأن ينكح ابنة خالته ..وهذا الهمس وصل للملك البحر بعد حين .. لأن الكلام إذا خرج من الفؤاد مشى وسعى في الأرض .. ولكن الملك لم يعلق على هذا الكلام .. لأنه علم أنه لم يحدث زواج بل تيقن له نفور الأميرة من الاقتران بأحد أو لأن الملك خالدا رجل كبير عنها في السن وجاءه تصور أنهم لا يريدون مصاهرة بلاد الماعز .. لمأساة الملكة صيد أم خالد ؛ ولكنه استدرك فقال : ولكنه قريبها أبناء الخالة .

وبينما هذه الخيالات تراود خيال صاحب هذه القصة، جاءه الركبان بخبر نكاح الأميرة زهرة من الأمير سن اللؤلؤ، فكظم غيظه بعد أن صدق حدسه بهواها لذلك الشاب .

وعلم أن الملك عدنان أجبر ابن عمه على تزويج ابنته للشائعات التي أخذت تتردد حول الأميرة من هواها للأمير سن اللؤلؤ والالتقاء به في غابات الصيد ، وسمع تعليلا لهذا التصرف من الملك أنه وافق على هذا الزواج حتى لا يزعل الملك البحر ولا الملك خالد ، وقال البحر لوزيره : أرأيت أيها الهمام ما لمحت لك به عقب سفارتك خاطبا؟.. أيوجد امرأة شابة تكره الزواج ؟ لابد من فيها هذه الصفة أنها مجنونة .

وتزوج الأمير حسن من بنات صديقه هلال ، وكان فرحا تحدثت به البلاد والعباد ، ولم يدع إليه الملك خالد ، ولا أحد من بلاد القمحة ، ورغم هذه الجفوة التي كانت واضحة للعيان أرسل الملك خالد جوادا قويا هدية للأمير حسن .

والحقيقة التي تسجل هنا أن الأميرة زهرة لم تكن على قصة عشق وهوى للأمير سن اللؤلؤ ، وكلما كرر الطلب كررت الرفض ؛ ولكن الأمير المذكور أخذ كلما علم بخروجها للصيد

يتظاهر بأن جاء صدفة لمكان الصيد ، والتقى بها صدفة وليس عن قصد .. ولما تكرر هذا الأمر أخذت الشائعات مجراها ..فألزم الملك والدها بهذا الزواج منعا لكثرة الأقاويل ، فوافقت على مضض وكره ، وما كادت تغيب بضعة أشهر في بلاد سعادة حتى عادت تحمل ولدا على يديها فقد مات زوجها في رحلة صيد بعيدة عن البلاد ..فقد عرضت له عصابة لصوص فقتلوه وكل من معه من الرجال والصيادين والخدم .. وخيرها الملك سالم بعد انتهاء الحداد بالبقاء أم العودة لأهلها .. فاختارت بلاد القمحة ..وشعر الملك عدنان بالندم لإجبارها على الزواج .. وانشغل بالبحث لها عن قرين تقر به عينها ..ولما نقل الخبر للملك البحر تعجب من تصاريف القدر .. وأشفق على الفتاة ولكنه قال لرسول الملك عدنان السري : سبق السيف العذل .. لقد تزوج الأمير حسن ابنة وزيرنا الهمام هلال .

بعد هدوء يسير أخبر الملك البحر بزحف الملك صخر نحو بلاد الماعز ، وقد تحالف مع عدد من الملوك على قسمة ثروة بلاد الماعز ونهب خيرتها وضمها لملكه ، وذلك بطلب من بعض أهالي بلاد الماعز الموتورين والناقمين على الملك البحر والملك خالد .

فطلب الملك من زوجه أم صخر بالكتابة لابنها تحضه على السلام والرضا بما يملك والبعد عن العدوان والظلم ، وأن الملك البحر راغب في الصلح والسلام ، وترجوه على عدم التدخل في بلاد الماعز ، وأن يلزم حدود ملكه ، فكان رده على توسلات أمه ورسالتها أن سفك دم الرسول على غير عادة الملوك حتى الطغاة بعدم التعرض للرسل والبريد .

فلما وصل خبر مقتل رسول الملكة للملك البحر ، غضب أشد الغضب لهذه الإهانة التي لحقت بمملكته .. وأقسم أمام جيش المدينة وأهاليها بالثأر لمقتل الرجل المسكين .. وجهز جيشا قوامه خمسة آلاف محارب .. وزحف بهم اتجاه بلاد الغراب من طريق لا يمر على بلاد الماعز .. وبعد عشرة أيام وصلوا أطراف مدينة الغراب الذي منذ سمع بزحف الملك البحر حتى ترك بعض جيشه يناوش جيش بلاد الماعز ، وعاد بأغلب الجيش لملاقاة الملك البحر .. ولكنه قبل أن يصل بلاده علم أنها استسلمت للملك ورحبت به ، وأعلنوا خلعه ، ونصب عليها ملكا نائبا عنه

الفارس جلال ابن الرسول الذي قتله صخر.. والتقى الجيشان خارج المدينة ، وكانت جيوشه منهكة من المسير فلم تصمد زمنا يذكر أمام جيوش البحر .. فمنها من هرب ، وتشتت شرقا وغربا ، ومنها من رفع الراية البيضاء معلنا الاستسلام .. والملك صخر هرب كغيره من الفرسان ..وعاد الملك البحر للمدينة معلنا ضمها لبلاد القنفذ وأنها جزء من مملكته ..ولما كملت السيطرة عليها سيطرة كاملة خاطب الملوك الذين عاونوا صخرا على غزو بلاد الماعز أن يقدموا للاعتذار والصلح ، وطلب العفو ودفع الأموال المترتبة على عدوانهم .

فمن قدم ورضخ أقره الملك على ملكه ، ومن رفض أرسل إليه القادة من أبطاله الشجعان ، وخلال سنة واحدة تهاوت مدن وأصبح ملوكها وأمراؤها ضحايا الحروب أو أسرى في سجن الملك البحر .. وأقبلت الأموال الكثيرة لبلاد الغراب حيث استقر الملك البحر يدير الحروب ونصب على الممالك المقهورة أمراء من جنده .. وتابع جيش صغير مطاردة الملك صخر وأفراد أسرته حتى تمت محاصرته في بلدة صغيرة .. وحاول أن يخوض معركته الأخيرة بمن بقي معه من جند ؛ ولكنه سقط أسيرا هو ووزيره وبعض قادة جيشه المقربين ..وسوقوا إلى مدينة الغراب حيث وزعت بناتهم وزوجاتهم اللواتي رافقنهم في رحلة الهرب سبايا على الجند .. ثم قتلوا وصلبوا أمام أهل المدينة ثلاثة أيام ثم وريت أجسادهم الثرى .. وأعلن الأمير بلبل ملكا على المدينة وتوابعها.. وكان الفارس جلال ابن الرسول المقتول الذين كان نائبا للبحر قبل المعارك الدامية قد عين أميرا على مدينة قريبة ..ولما ثبت الملك الملك بلبلا ملكا عليها ، وترك من جنده ألفين محارب .. أخذ يستعد للعودة لبلاده بعد ثلاث سنوات من الحرب والقتال .

ولما عاد لبلاد القنفذ استقبلته البلاد والأهالي كعادتهم ، وقدم إليه السادة التهاني بالنصر وباتساع المملكة ..ولكنه لم يكد يستقر بضعة أشهر حتى جاءه نعي ولده بلبل مصروعا بيد الغدر من أبناء الملك صخر الذين نجوا من الهلاك والأسر.. فأراد إرسال الوزير هلالا ملكا على تلك البلاد ، فاعتذر هلال عن الملك ورغب بالبقاء بجواره ، فسر البحر من إخلاص صديقه ـ الذي لم يشك فيه يوما ـ مع أنه أحب تكريمه غاية الإكرام ، فأرسل ابنه حسنا ملكا آخر على بلاد

الغراب ، ورافقه هلال لتأديب القتلة والمتآمرين ومطاردتهم حيثما كانوا .

وكان الذي قتل الملك بلبلا أحد أبناء الملك صخر الذين تم العفو عنه ، ولم يؤخذ بجريرة أبيه، ولشفاعة الفارس الذي نكح أمه له .. واسم هذا الشاب الأمير عفرا ورتب هذا الأمير لمصرع الملك بلبل نائب الملك البحر مع العبد الشرير سمر

والعبد سعد الذين هربا من سجن بلاد الماعز ، ولحقا بسيدهما ، ولما سقط الملك صخر قتيلا صمم العبد سمر على النيل من الملك بلبل ..

ورتب الأمر مع الأمير عفرا ، ووافق على الاغتيال معهم قائلا : أنا أحق بالانتقام لموت أبي منكم وأثنى على إخلاصهما ، وقد استعانوا بجارية من اللواتي تخدم في قصر الملك بلبل وقامت هذه الجارية بإدخالهم غرفة نوم الملك .. بعد أن استطاعت إخفاءهم في القصر بضع ساعات ..وفي لحظة ظن الحرس أن أصحاب الحاجات قد غادروا القصر، ولم يبق فيه إلا أهله تسلل الثلاثة إلى حجرة النوم بمساعدة الجارية الخائنة ..وقتلوه هو وزوجه وهربوا ؛ ولكن العبد سعد الذي كان يتسلق الشجرة ليقفز على سور القصر ومنها إلى الخارج .. سقط على الأرض قبل أن يصل السور .. فأدركه الحرس وقبض عليه .. ثم تبين لهم مقتل الملك بلبل .. وأقر سعد بالمؤامرة .

وأما عفرا وسمر فقد تجاوزا السور ، ولما أدركوا أن شريكهم قبض عليه ركبوا جيادهم وغادروا المدينة بسرعة الريح .

بعد معرفة تفاصيل المكيدة أعدم العبد سعد الحياة وكذلك الجارية المتآمرة معهم، وطردت كل الجواري العاملات في الخدمة .. وأعلن الأمير حسن ملكا على المدينة بدلا من أخيه القتيل ، وعين الأمير سعيد ابن الوزير هلال وزيرا له .. وقام أمير الحماية أسعد الذي رافق الوزير لمعرفة تفاصيل حادث الاغتيال والغدر.. بتشكيل فريق الحماية والأمن المحيط بالملك الجديد ، وجعل قائدا له من أعوانه النبهاء والفرسان .

وطلب الوزير هلال من عبديه ليل وعمر بأن يتعقبا الأمير عفرا وصاحبه سمر ، ووعدهما المكافأة الحسنة إن قتلاهما أو أتيا بهما حيين ، وقبل أن ينطلقا لتنفيذ أمر الوزير طلب الأمير حلم

بن الملك البحر المشاركة في مطاردتها ، فبعد شد ورخي وافق الوزير له على هذه المغامرة وأمرهم بالعمل بسرية تامة لينالوا مبتغاهم .



مطاردة

أول مشكلة واجهت حلم شقيق بلبل القتيل أنه وصاحباه عمر وليل لا يعرفون صورة عفرا ، ولم يروا سمرا ؛ ولكنهم عرفوا أوصافه من الأمير أسعد لالتقائه به في بلاد الماعز ، عندما ذهب إليها ليغتال الملك البحر كما يعلم القراء .. ولكن الوزير هلالا استطاع الحصول على أوصاف عفرا البدنية من بعض الأمراء الذي سلموا أنفسهم للملك البحر، ورضوا بالحكم الجديد .. ونقل صفاته البدنية للأمير حلم ورفيقيه .

وتنكر الرجال الثلاثة على هيئة عوام الناس في تلك البلاد والديار، وساقوا حمارة عرجاء يتنقلون بها بين الأحياء والمدن ، وهم يعلمون من رجالهم أن الرجلان خرجا من بلاد الغراب نحو بلاد الطير ؛ لأن ملكها قريب للملك صخر المقتول ووقف على الحياد ، ونصح ابن عمه بعدم العدوان على بلاد الماعز ..وأعلن حياده للملك البحر .. فلم يتحرش به الملك البحر وأقره على ملك بلاده ..فكانوا يتنقلون بين المدن والناس بحثا عن الأمير عفرا.. وقد وقع في ظنهم بأنه ربما يلجأ لملك أو أمير .. وكانوا يتحسسون الأخبار من خلال التجار والقوافل بذكاء وفطنة فكان حلم يتظاهر أمام التجار أنه كان في بلاد الغراب عندما اغتيل ملكها الجديد .. وأنه سمع أن الذي صرعه أمير يقال له عفرا وهو ابن للملك المصلوب صخر فيحدثهم بهذا الخبر كأنه ينقل خبرا مهما بغير مبالاة وهو حقيقة مهم .. ثم يستمع ردهم على الخبر عن هرب الأمير في بقاع الأرض.. فيقول إنه في بلاد كذا .. مستدرجا للسامعين بذكر معلومة أو إشاعة ..وبمثل هذه الحيل والاستدراجات يلتقطون الأخبار من السامعين فيقول أحدهم : سمعت أنه مر في بلدة كذا .. وخرج منها إلى بلدة كذا .

ويزعم بعضهم أنه قابله ، وبعضهم رآه حتى سمعوا أن له أختا متزوجة في بلدة ما .. فمشوا إليها متلصصين .. ولكنهم لم يجدوا له أثرا في تلك البلدة .. بل سمعوا أنه ما زال مختفيا في الغراب متنكرا ليقتل الملك الجديد حسن .

ومرة وجدوا لصا جريحا وهم يمرون في إحدى الغابات المطروقة ، وقاموا بإسعافه دون

علمهم بلصوصيته ، ولما سمع منهم اسم سمر قال لهم فجأة : أتعرفونه ؟!

قال العبد ليل مستدرجا الجريح : سمعنا بشجاعته ، وأنه كان من رجال الملك صخر أبي رشوان ملك بلاد الغراب .

فقال اللص الجريح متأوها : صدقت أيها الرفيق !.. وهو صديق لزعيمنا ..أنا كما صارحتكم لصا .. وابن عصابات تعيش في هذه البلدان ..هو صديق الزعيم الذي غدر بي ، وتركني مصابا هنا لأموت .. ولولا التقاؤكم بي وإحسانكم لي لهلكت .

فعاد ليل متحايلا على اللص : إذن أنت تعرف العبد سمر؟

ـ لقد رأيته مرارا يلتقي بزعيمنا اللعين .. نحن كما لا نرحم الناس ..فعندما يحدث بيننا صراع ونزاع لا أحد يرحم الآخر ..وكل يظن أنه الناجي والباقي .. الزعيم عندما علم أن إصابتي عميقة وشفائي صعب تخلى عني ..هكذا نعيش .

وأخذ يحدثهم عن إجرامه وحياته الوحشية في خدمة الزعيم ، وهم خائفون أن يموت قبل أن يحدثهم عن سمر اللعين ..ثم صارحهم بأن الزعيم "غصب" زعيم لصوص في ناحية الصوان ثم قال أخطر ما يبغونه : قبل شهور أقبل إلينا الرجل أو العبد كم قلتم المسمى سمرا وبرفقته فارس آخر .. وسمر هذا كان في أول شبابه لص شرس ووحش في صورة بشر وعاش بيننا فترة أيام صباه .. ثم اختفى من بيننا .. ترك الجبل فكنا في أول الأمر نرى أنه قد هلك في إحدى غاراته .. ثم علمنا أنه عبد لعين عند الملك رشوان والد الملك صخر ..

ولما سكت اللص الجريح قال عمر : ما اسم رفيق العبد سمر ؟

فرد اللص قائلا : كنت أسمعهم ينادونه أبا الكلب .. لا أعرف اسمه .. وكان زعيمنا اللعين مسرورا بصداقة سمر ، وكان معجبا بصاحبه .. فلم علم بأنه قد يمكث معه بضعة أشهر أظهر سعادته به .

وعرف الرجال رويدا رويدا منه موقع جبل الصوان حيث يختفي غصب وعصابته ، وبعد حين أشرف اللص الجريح على الموت.. فقالوا له إن كان له حاجة أو رغبة أو وصية ينقلونها لأحد

فقال : لي أهل في قرية بعيدة عن هذه الغابات .. ولكنهم نسوني منذ عهد بعيد .. لا أعتقد أن أمي على قيد الحياة .

الوصول إلى عقر العصابة في جبل الصوان فيه مخاطرة عظمى ، والثلاثة لا تنقصهم الشجاعة فلهم خبرة في مطاردة العصابات واللصوص ، وهي أول خبرة يكتسبها الفارس في بلاد القنفذ كما يعلم القارئ الكريم .. وهم خرجوا لهذه المخاطرة الكبرى بكل طيب نفس ، فكانت الخطة بعد دفنهم للص الميت الذي قدم المعلومة المهمة قبل رحيله هي أن يدسوا أحدهم في عرين الأسد .. يدخل الجبل المذكور .. وعليهم أن يكونوا قريبين من الجبل ..ووقع الاختيار على ليل بدخول الجبل خشية أن يكون العبد سمر قد رأى حلما وعمرا أثناء وجوده في مدينة الماعز لاغتيال الملك البحر؛ لأنهما مكثا وقضيا زمنا في بلاد الماعز أثناء حربهم الأولى مع الملك صخر ولما اقتربوا من ناحية الصوان بجبالها وتلالها ووديانها ، ولم يبق إلا نصف نهار للوصول لقلبها اتخذ القوم كهفا في سفح جبل ليكون مقر الاختباء والالتقاء وقال الأمير مخاطبا لليل : سنمكث في هذا الجبل وبجوار هذه الغابة وغدير الماء .. وسنترك لك الحرية بضعة أيام داخل عرين العصابة .. وبعد أيام ثلاثة سيقترب الفارس عمر إلى قرب الجبل لمعرفة أخبارك إن استطاع .. وستترك لنا علامة سيصل إليها عمر للقاء بك .. وإذا لم تلتقيا بعد الأيام الثلاثة .. سنغير من أشكالنا وندخل عرين الأسد .

فقال ليل : سأعلق قطعة قماش على شجرة ، فتعرفون أنني ما زلت حيا ، وتكمنون بالقرب منها حتى أوافيكم .

مشى عمر معه إلى مكان اتفقا أن يكون لقاؤهم قريبا منه بعد أيام ثلاثة .. وعاد عمر إلى كهف الغابة حيث الأمير .. وتابع ليل السير في جبل العصابة ، وهو يعتقد أنه سيكون في قمة جبل أو تلة عالية ، وكان يحمل خنجرا حاد النصل ، وثيابه رثة كما يعرف القراء منذ خرج من بلاد الغراب .

شيخ الجبل

لما بزغ الفجر أخذ عمر القربة لملئها من ماء الغدير القريب منهم ، وجلب بعض أثمار الشجر الناضجة ليأكلاها سوية ، فلما هبط من المغارة سائرا إلى عين الماء رأى أغناما كثيرة ترد مصدر الماء ، وشاهد راعيين عندها ..وتابع عمر سيره نحوهما وحياهما ، وفي أول الأمر وجلا منه عندما رأياه قادما إليهما؛ ولكن بعد السلام عليهما ارتدت لهما أرواحهما، ولابد أنهما توقعا أن يكون أحد لصوص هذه الجبال ، فلما سلم عليهما بسكينة ارتدت لهم نفوسهم وقال أحدهم : كيف شيخ الجبل ؟

فرد وهو يضع القربة في نبع الماء: بخير .. وأنتم كيف حالكم ؟

فقال أحدهم : بخير .. لم نرك من قبل هل لحقت بهم حديثا ؟

ـ أوه .. أتعرفون كل رجال الجبل؟!

ـ أغلبهم .. فبعضهم من أبناء قريتنا تلك ـ وأشار إلى جهة ما ـ .

فقال عمر: قريتكم ؟

ـ نحن قريتنا تبعد عن هذا الشجر وهذه العين بضع ساعات ..فبعض رجال القرية يعملون في طائفة الشيخ غصب ..لابد أنك فارس جديد في الجماعة هنا ..

تبسم عمر لوصف الراعي لرجال الجبل اللصوص بالفرسان فقال عمر : أنا ذاهب إليهم برسالة .. فاضطررت للمبيت هنا ـ وأشار لمجموعة من الأشجار ـ ولما صحوت قلت أملأ قربتي بالماء ، وأتعرف عليكم وأتابع السير لرجال الجبل .. فأنتم من رعيان تلك القرية .. ولأن بعض رجالكم من أعوان الشيخ غصب يسمحون لكم بالرعي .. ها هنا !

ـ أجل أيها الصديق .. وأحيانا نقدم لهم بعض الجديان .

وسامرهم وعرف كل ما يعرفونه عن أهل الجبل بدون أن يفطنوا لغايته ، وملأ القربة خلال الحوار بينهم ، ثم ودعهم ، ولما ابتعد بعيدا عن أعينهم مختفيا في الأشجار .. انحرف إلى الكهف وقدم الثمار والماء للأمير ، وروى له كل ما تذكره من حديث الراعيين ، وختم الكلام قائلا :

يقولون أحيانا ترد السباع هذه المسيل ولكنها ضئيلة .. وعلى بعد ميلين من هنا توجد عين ماء أكبر كالبحر .. فعلينا بتوخي الحذر أيها الأمير .

ضحك الأمير وقال : أنا الآن لست أميرا .. فمنذ خرجنا وأنا جندب وأنت طبع وصاحبنا حية.. أتظن لو وصلنا القرية التي تحدث عنها الراعيان نستطيع تلقط أنباء عن سمر وعفرا ؟.. ما دام عدد من أهل القرية يعملون مع الزعيم غصب .

ـ والذي يثير الحيرة لديّ أيها الفارس أن هذا الأمير كيف يعيش مع هؤلاء اللصوص والوحوش؟! .. فهؤلاء جل حياتهم البحث عن بيت يسرقونه ..عن قافلة يعترضونها ويسلبون بعضها .

فقال حلم : ألم يقل لنا لص الغابة أن سمرا ذاك قد بدأ حياته مع هؤلاء اللصوص قبل أن يتصل بالملك صخر أو أبيه.. وهم يعلمون شدة بأسنا ، ولن نتهاون في ثأرنا وحقنا ..فاعتقدوا أن الحياة بين هؤلاء اللصوص لحين ما أمان لهم أكثر .. فحياة الجبال للهارب يرى أنها أكثر أمانا من حياة المدن والقرى ..فهم يعلمان لو أنهما لجآ لملك من الملوك الدنيا لابد أن يصل خبرهم إلينا آجلا أم عاجلا .

وفي الصباح الثالث مشيا معا إلى الموعد المضروب بينهم وبين ليل أو حية .. فوجدا الخرقة على الشجرة المتفق على اللقاء عندها.. إذن فقد نجح ليل في الدخول بينهم ، فهو واسع الحيلة ، وله مخاطرات سابقة في الحياة مع اللصوص قبل أن يصير رجل الوزير الأول هو وعمر .. وهو كاتم أسرار الوزير هلال ، وقاضي الحاجات الخطرة .. فلبدا في مكان خفي ريثما يأتي صاحبهما وبعد انتظار لأيام أقبل الرجل ، فناداه عمر من مكمنه، وجره إلى الشجرة التي اختفيا قريبا منها وبين أوراقها الكثيفة ، فلما سلم على الأمير قال : وصلنا فعلا أيها السادة .. فسمر والأمير موجودان مع رجال الجبل منذ ارتكاب جريمتهما .. ولقد رأيتهما بعيني هاتين .

ولما سئل عن الحيلة التي دخل بها ، رفع ثوبه عن صدره ، فرأيا جرحا يظن من يراه أنه عميق وحقيقي فقال : جرحت نفسي هذا الجرح وعفرته بالتراب .. وألقيت نفسي في بطن الوادي

وبينما أنا أسير التقيت برجل .. حزن عليّ وأخبرته أني تشاجرت مع قريب لي ، وطعنته بخنجر وهربت من الحمولة .. فأنزلني في كهف على أني جريح هارب ، ربما ينتفعون بي إذا لم أمت من أثر الجرح .. وكان يقدم لي الطعام والشراب ..وعندما يبتعد عنى أتسلل طول الليل في المكان وأتسمع .. وجئت ليلة ووضعت العلامة على الشجرة لتعلما بأنني ما زلت حيا .. وتركت رفيقي اليوم عائدا لقريتي لاستمع لما جرى من أخبار قريبي المطعون .. هل مات أم ظل على قيد الحياة ؟.. ووعدته بالعودة والالتحاق برجال الجبل .

أثنى الرجلان على الفارس ليل وعلى شجاعته وقوة أعصابه، ثم قال : وقد استطعت معرفة وجود عفرا وسمر منه .. ولقد شاهدت من كهفي ذات صباح بعض القوم يركبون الخيل خارجون في مهمة كما أخبر صاحبي ..وبينهم كان الزعيم غصب وسمر وشخص هو لا يعرفه ولكني خمنت أن يكون عفرا ..لأنه قال هذان الرجلان جاءا إلينا من عهد قريب .. ولما انصرفوا في مهمتهم .. انصرفت إليكم بالكلام الذي زعمته للرجل .. ووافق رئيسه على مغادرتي ثم العودة إليهم .. وشاهدت نساء في الجبل فأخبرني صاحبي : إنهن سبايا للزعيم غصب .. بل حدثني بأمر أدهشني هو أن ابنة تاجر كبير من بلاد سعادة مخطوفة ، وأصبحت عشيقة للزعيم وأخبر أن هناك أميرة مسروقة منذ عهد بعيد ، ولها أولاد من غصب .. ثم قتلها هي وأولادها عندما اكتشف أنها أصبحت تخونه مع بعض رجاله فقتلها مع أحد عشاقها .

فقال حلم : إنهم بعيدون عن بلادنا وإلا لقضينا عليهم، كما قضينا على الكثير من العصابات التي تعيث فسادا في الأرض، وتأوي المجرمين والقتلة .. ما الفعل المطلوب منا الآن ؟

ـ سأعود إليهم بعد أيام متظاهرا بأن قريبي قد مات ، وأن أهل قريبي يطلبون دمي ، وشكوني لملك المدينة التي أعيش تحت رعايتها.. والشرطة تجد في طلبي.

ـ ثم ماذا ؟!

ـ سأقتل في الأول سمرا ، ولن أدعهم يعرفون القاتل .. وعندما يحس الأمير بالوحدة وفقد النصير، فلن يطيق الحياة هنا بدون سمر ..وإذا كان سمر مسيطرا على إرادته سيحس بالموت

والرغبة بالخروج من الجبل .. وربما أجعلهم يشكون فيه إذا استطعت ذلك ويتهمونه بمصرع سمر .

فضحك عمر : عندك مكر شديد ! ـ إنه قاتل يا سيدي ابن ملكينا المحبوب!

****

فلما سمعوا خطة ليل غادروا المكان نحو أقرب مدينة لهذه الجبال والغابات ليقضوا فيها عددا من الأيام ، ثم يعودوا لتحقيق مأربهم في القضاء على سمر وعفرا .. وفعلا بعد مسير يوم وجدوا أنفسهم في بلدة صغيرة استطاعوا أن يكسبوا من أهلها بضع أرغفة لاكتها ألسنتهم وأفواههم وأرشدوهم للطريق الموصلة للمدينة الكبيرة التي يتبعون لها .. وبعد يوم آخر وصلوا المدينة التي اسمها قمر، ونزلوا أحد الخانات بعدما أكلوا لحما من بعض أماكن شوي اللحم .

وقضوا ليلة هادئة في الخان ، وفي الصباح خرجوا يبحثون عن مكان للأكل فيه من جديد .. وبينا هم يزدرون الطعام سمعوا أحد الناس في السوق يصيح : ابنة الملك تتمشى في السوق !

فترك أصحاب الحوانيت دكاكينهم وخرجوا للفرجة على ابنة الملك التي تتجول في سوقهم ، وفعل الشبان مثلهم ، وسمعوا صاحب الطعام يقول : الأميرة تغريد .. تحب التفرج على الناس وتسمع شكواهم بنفسها ..فهي تخرج بين الحين والآخر تتمشى في الأسواق وتسأل عن أحوالهم وأخذ الرجل يكيل لها المدح ، ويزعم أنها امرأة لطيفة، وتحب الشعب .

وكانت الأميرة تعتلي صهوة جواد ، وخلفها عشرة فرسان يبتعدون عنها عشر خطوات أو أذرع وكانت تحيي الناس بالإشارة بيدها اليمنى ومرة باليسرى ، وتبتسم في وجوههم ، ويحيونها، وتشير إلى أحدهم فيتقدم منها المشار إليه ، وتتكلم معه وتسأله عن أحواله وهمومه ، ثم تنتقل إلى غيره ثم تتابع المشي .. وأحيانا يقدم لها أصحاب المحلات بعض الحلوى فتقبلها منهم شاكرة حتى وصلت لمطعم الرجل الذي يأكل عنده الشبان .. فرحب بها الرجل ، ودعاها لتناول الطعام في مطعمه ، فلما اقتربت منه كثيرا قال : أسنبلة هؤلاء ضيوفك ؟ وأشارت للشباب الثلاثة .

فهتف مسرورا لفطنتها بمعرفة الأغراب وقد أحنى رقبته قليلا : تفضلي يا مولاتي!! .. هؤلاء زبائننا أيتها الأميرة الطيبة .. ولكنهم أغراب ضيوف دخلوا البلاد مساء أمس.. فهم عابرو سبيل.

فابتسمت لهم وقالت : منذ نظرت إليهم عرفت أنهم أغراب .

ـ لا أحد ينتقص من فطنتك أيتها الأميرة .

وحيا الشباب الأميرة باسمين ، وقالت الأميرة وهي تشير لحلم : أيها الغريب من أي البلاد أنتم؟!

رد حلم المشار إليه : نحن من بلاد بعيدة .. من مدينة يقال القنفذ .. وبعضهم يسميها بلاد المحبة

ـ اسم رائع! ..أيحب الناس بعضهم بعضا هناك ؟

ـ إنها كسائر المدن أيتها الأميرة .

ـ على كل سمعت بها من التاجر قدوم .. لقد ردد اسمها أمامي أكثر من مرة ..أهلا بكم في بلادنا .. ما تحترفون في بلادكم ؟

ـ أنا جندي في جيش البلاد .. وقد خرجت فارسا وحارسا في قافلة يا مولاتي الأميرة .. ثم ضللت أنا ورفاقي عنها .. وكان يشير لصاحبيه ليل وعمر .

ولم تسكت الأميرة وتكتفي بما سمعت بل قالت : وكيف ضللتم ؟

أحس الأمير أنه تورط في الكذب ، فأسرع بالرد للتخلص مما ورط نفسه فيه قائلا : تركنا القافلة وهي تكاد تمشي ، وذهبنا إلى زيارة شخص صديق لنا ، فأصر على غدائنا ، وظننا أن قافلتنا لن تتحرك بدوننا .. ولكن القافلة تحركت دوننا ..كأنهم ظنوا أننا مع القافلة .. أو تعمدوا تركنا للإساءة إلينا عند عودتهم عند قائد الجيش الذي كلفنا بمرافقة هذه القافلة .. فأخذنا نسأل في الدروب والمدن ..فوصلنا ليلة أمس هنا فقلنا نستريح بضعة أيام ثم نعود لبلادنا أو نتابع البحث عن تلك القافلة

ـ أأنتم من حراس القوافل إذن ؟

ـ لا .. نحن جنود في جيش البلد ؛ ولكن خرجنا بصحبة هذه القافلة كحراس ، وفي نفس الوقت نتفرج على العالم والناس .

فكرت الأميرة بكلام حلم قليلا ، ثم خاطبت سنبلة فقالت : يا سنبلة .. استلطفت ضيوفك ولو أكرمتهم بزيارة مولاك الملك .

ـ أمرك يا مولاتي .. أسمعتم أيها الفرسان ؟ .. أنتم أصبحتم ضيوفا عند مولاتنا الأميرة .. ومدعون للعشاء في قصر الملك وعلى مائدته الليلة .

فقال حلم : يسرنا هذا الإكرام أيتها الأميرة .. والشكر الكبير لكم .

وحيتهم الأميرة وتابعت جولتها في السوق ، تتفقد أحوال الرعية ، وفي الليل بعد صلاة العشاء المفروضة على المسلمين ، أوصى سنبلة عماله على الحانوت ، وانطلق بزبائنه إلى قصر الملك ، وهم يلبسون ثيابا جميلة تدل على ثرائهم بعد أن طلب منهم سنبلة فعل ذلك قائلا : لا يحسن بكم مقابلة الملك بهذه الثياب البالية .

فسنبلة معروف للحرس الذين على أبواب القصر ، ولابد أنهم أكلوا من طعامه المشهور في مدينة قمر .. وساقهم أحد الجند إلى غرفة الطعام حيث يقدم يوميا لضيوف الملك وبعض الفقراء من أهل المدينة .. الذين يتعشون على مائدته كالعادة الجارية عندهم .. وبعد العشاء الطيب .. ساقهم أحد الخدم إلى قاعة كبيرة تكتظ بالرجال والضيوف الذين يسمرون مع الملك وهذه عادة أخرى.. وكان بين يديه الشعراء والخطباء والظرفاء والكتاب والقصاص والعلماء كم سر حلم من هذا الاجتماع بحضرة السلطان .. ورأوا الملك يجلس وبجواره ابنته الأميرة تغريد .. وخلفهم بعض الحرس من الجند .. وبينهم الخدم .. ولما لمحتهم الفتاة يدخلون تبسمت لهم ، مما لفت نظر بعض الحاشية والناس فأخذوا يتابعونهم بعيونهم .. فتحدثت مع أبيها يسيرا والناس ينظرون إليهم .. فأشار لهم أحد الخدم بإشارة من السلطان أن يتقدموا لمصافحة السلطان فتقدمهم سنبلة المعروف في المدينة.. فحيوا الملك وصافحوه .. وعاد حلم وقص عليهم قصة القافلة التي أضاعوها لانشغالهم بزيارة صديق لهم .. ولما علم أنهم من بلاد

الملك البحر بش لهم وقال : لقد سمعنا الخبر الكثير عن هذا الحاكم .. وهل هناك أحد لم يسمع بهذا الفارس ؟!

وكان حلم طول السهرة القائمة بحضرة السلطان يختلس النظر إلى الأميرة التي أعجب بها وطمع بها قرينة ، فقد خفق لها القلب كما يقال ، وتخيلها حليلة له ، وأعجب بحسنها وقوامها وشجاعتها بتفقد أحوال الخلق بدون خوف من اغتيال واعتداء .. وأثناء اختلاسه النظر إليها يجدها هي الأخرى تنظر إليه ، فيغير اتجاه نظره ويقول: أيكون عندها ما عندي من الهوى؟.. أيرضى أبي بزواجي منها ؟ ولماذا لا يرضى ؟! هي أميرة طيبة كما يقول أهل البلد ؟

وأحيانا عندما تتلاقى العيون يلمح ابتسامة خفيفة على وجهها كأنها تقول له مشجعة : الذي عندك عندي؟

فمال على سنبلة هامسا : يا أخ سنبلة .. الأميرة هل هي ذات بعل ؟

فتبسم سنبلة له وقال بخبث : لعلك عشقتها أيها الشاب! .. احذر لنفسك .. فالحب قتّال كما يقال .. واختلس سنبلة نظرة اتجاه الأميرة وهمس في أذن صاحبه : الأميرة ليست ذات بعل .

فهمس حلم : ألا يزوجني هذا السلطان المحبوب من شعبه كما يبدو لي إياها ؟

ـ ويحك .. ما هذا الكلام ؟!

فكأن الملك والأميرة وبعض الحضور لحظوا الهمس فقال الملك لسنبلة كأنه مؤنبا : بماذا تتهامسان يا سنبلة ؟!

تبسم سنبلة وقال : العفو يا مولاي .. يبدو أن صوتي علا .

ولكنه أمام استمرار نظرات الملك قال بشجاعة : ضيفي يسألني هل الأميرة ذات بعل ؟.. يبدو أن ضيفنا استحسن مولاتنا الأميرة .. فأحببت أن ألزمه حده .. حتى لا تطمع نفسه يا مولاي الملك .

تبسم الملك والتفت إلى الشاب الذي غرق بالاحمرار والقلق فقال : أحقا هويت الأميرة يا جندب ؟!

ـ أنا سألت ـ يا مولاي ـ ولكن صاحبنا سنبلة حرف الكلام عن مقصده .

فقال الملك : هي أميرة ابنة ملوك أيها الفارس جندب .

فكاد حلم أن يصيح بقول : وأنا أمير ابن ملك .

ولكنه تماسك عن هذا التصريح ، وتذكر أنه في مهمة انتقام وقال : أنا لا أتطاول على المقام العالي يا مولاي .. ما أنا إلا عابر سبيل .. أرجو المعذرة من جميع السامعين .

ـ أحسنت الآن يا جندب.. انصرف بضيوفك يا سنبلة .. متى سيغادرون البلد؟

رد حلم ببطء وفهم لمغزى سؤال السلطان : غدا يا مولاي ..وأنا معجب بكرمك وفتحك ديوانك لهؤلاء الناس .. وشكرا على مائدة طعامك العامرة للضيوف والفقراء .. وسأطلب من وزير ملكنا البحر الوزير هلال أن يحاكيكم في هذه العوائد .. ونشكر الأميرة على لطفها معنا نحن الغرباء .

ونهضوا مغادرين مجلس الملك ، وفي الصباح تناولوا الإفطار الأخير عند سنبلة ، واتجهوا من جديد ناحية جبل الصوان لتنفيذ خطة الفارس ليل .. وكان حلم يخاطب صاحبيه أثناء الطريق: إن قدرت لنا الحياة بعد هذه المغامرة والعودة لبلادنا .. سآتي هذه البلاد خاطبا ومتزوجا هذه الأميرة الشجاعة .

فضحك الفارسان وقد أدركا منذ أمس تعلق الفتى بالفتاة ، فتمنيا له السلامة والزواج القريب

حلم

حدث في نصف الليل السابق قبل رحيل الفرسان من بلاد قمر، ومن بعد انصراف القوم من مجلس السلطان أن أتى غلام للخان الذي ينزل فيه الفرسان، وسأل حارس الخان رغبته بمقابلة جندب ، ولما تقابلا قال له :هناك امرأة ترغب بالحديث معك .

على الفور أدرك الفارس حلم من هي المرأة ، فقد توقع ذلك، توقع خطوة الأميرة هذه ؛ لأنه عندما سألهم الملك سنبلة عن وقت رحيلهم ، هو أجاب على سؤال الملك لتصل الرسالة للأميرة إن كانت لديها رغبة بالاجتماع به .. فمع مجيء الغلام قد زاد تيقنا أن الفتاة تهواه كما هويها .. لقد فهمت الأميرة رسالة الشاب .. فتبع الغلام وطلب من صاحبيه ألا يقلقا عليه .. فساقه الغلام إلى غابة في طرف البلدة ـ غابة تخص السلطان ـ فوجد الفتاة في انتظاره ، ومعها جارية لها ..فأشارت الأميرة للجارية أن تبتعد .. وأشار الغلام لجندب على الأميرة .. ومشى نحو الجارية .. فلما وصل جندب إلى مكان الأميرة ألقى السلام ، وكانت الأميرة مقنعة لا يظهر منها سوى عينيها اللامعتين رغم حلكة الليل والشجر ..فقالت: مرحبا بفارس الملك البحر جندب أنت شجاع لم تتردد في المجيء ، ولم تخش الكمين.. وأنت شجاع عندما عرفت أنكم أغراب، ودعوتكم لقصر السلطان ، فلم تتردد أيضا بقبول الدعوة ..فأنت سيد وصاحباك أتباع أليس كذلك؟!

لمعت أسنان الشاب وهو يضحك بصوت خفيض : جميل منك هذا التوفيق ! .. أنت ذكية يا مولاتي .. ومجيئك إلى هنا أيضا شجاعة .. وفهمك لرسالتي فطنة وشجاعة .. بصراحة إنني معجب بك للغاية .. منذ رأتك عيناي .

ـ ماذا تأمل مني بعد إعجابك بي ؟ وسؤالك عن أني ذات بعل ؟

ـ الزواج كسائر خلق الله ..على سنة الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ أنت أدهشتني حقا ، كنت جريئا أمام السلطان ورسائل عينيك وصلت إلى قلبي أيها الفتى .. ولكن الزواج أجابك عنه مولاي الحاكم .. فأنت قضيت طول الجلسة تختلس النظر إليّ .

ـ وكلما أختلس نظرة أجد بريق عينيك يتأملني .

ورنت بينهما ضحكة خفيفة وقالت : أنا لا أدري لماذا فعلت ذلك ؟!

ـ القلوب والأرواح أيتها الأميرة .. وأنا لا أدري ما الذي أتى بي لهذه المدينة دون غيرها من المدن؟!

ـ القلوب والعيون والأرواح !! .. عندما نظرتك أمام حانوت سنبلة ..كانت نظرة غريبة على قلبي يا جندب .. ولكن ثيابك الرثة أزعجتني ..فبريق عينيك بريق رجل مقدام .. ولم تكن نظرتك إليّ نظرة رجل لامرأة نظرة عابرة ..كانت نظرة مفتون .

ـ إنك ساحرة يا مولاتي !..صدقت لا أدري ما الذي حدث لي ؟! ..وأنا لما أخبرت والدك الملك بأني مغادر غدا لأرى ما لي عندك من لوعة الهوى .. وقد فهمت الرسالة .. وها نحن نلتقي لنرى مصيرنا.

ـ جميل أيها الفارس ..ألديك أمل بالاقتران بي؟

ـ سأكشف لك سرا ما دمت قبلت بي بعلا ؟

ـ وكيف عرفت بأني غير ذات بعل ؟ أأخبرك سنبلة ؟

ـ أخبرني سنبلة بعد انصرافنا من مجلس السلطان ، وأنت أخبرتيني أيضا .

ـ أنا وكيف أخبرتك ؟!

ـ مجيئك إلى هنا في جوف الليل يدل على أنك بغير زوج ؟

ـ غلبتني بالذكاء أيها الفارس .. وما السر الذي سيجعلني أقبل بك زوجا ؟ .. أتريد أن تقول إن والدك هو الملك البحر ؟

ـ صدقت مرة أخرى ، أنا والدي ملك بلاد القنفذ .. أنا أمير مثلك .. أنا أحد أبناء ذلك البطل الكرار والفارس المغوار .. أنا اسمي حلم .. وأما جندب فهو في مهمة قاسية وخطيرة ..وإذا امتنعت عن الأزواج بضعة شهور سأكون بإذن الله صاحب الحظوة لديك .

ـ نعم ، أنت ابن ملك إذن ..وقع لي هذا الحدس عندما رأيتك عند سنبلة تحدق بي .. قلت هذا

إنسان متنكر .. فالناس يختلسون النظر في وجه الأميرات .. لا يبحلقون كما فعل جندب الذي صار حلما الآن .

ـ أنا أدركت قوة فؤادك وذكائك .. وأنا لا أكذب أيتها الأميرة .. قليل من الصبر والحين .

ـ إني مصدقة ، وعندما خاطبك والدي بأني ابنة ملك .. ليضع حدا لجسارتك ، لقد هممت أن تتفوه بشيء .. ثم أمسكت نفسك .

ـ فعلا كدت أن أرد على أبيك وأقول وأنا ابن ملك .. ولكني تذكرت أنني في مهمة خطيرة .

ـ وجلوسك مع الوالد وتمتمتك مع سنبلة دل على أنك سيد متعود على الجلوس مع الأمراء والأكابر .. وليس التجار كما زعمت .

ـ ما شاء الله !!..بدأ ذكاؤك يخيفني .

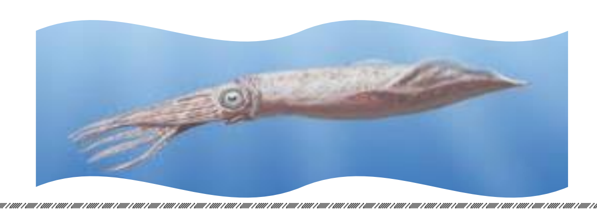
ـ وأنت أذكى مني .. إلى متى انتظر الفارس حلم ؟!

ـ مهمتي قريبا ستنتهي .. وبلادنا بعيدة عن هذه المدن ، فأقل من سنة سيلتم شملنا بإذن أحد أحد .. اعذريني بعدم إفشاء سر مهمتي ..والمهمة خطرة قد أموت فيها ..عندما أنتهي منها إن لم آتيك بلحمي وشحمي .. سيكون أحد الرسل بيننا .

ـ قبلت بك.. فأبي ترك لي شأني .. وبيني وبينك عام أيها الفارس النبيل .. واعلم بأنك لو لم تكن أميرا لقد كنت أعول على هذا اللقاء كثيرا ولأمهد لك طلب الاقتران بي عند أبي .. فأنا الابنة الوحيدة لأبي .. لا أخوة ولا أخوات .

ـ اتفقنا أيتها البطلة ..فأنت أول أنثى أعرض نفسي عليها .. ما زلت بكرا مثلك .

غادرت الأميرة المكان ، وهي تعجب لتصاريف القدر ، ولما اختفت انصرف الأمير إلى الخان حيث الرفاق وكان بادي السعادة والحبور .. انتقام وحب .



جبل الصوان

عادوا أدراجهم جهة جبل الصوان ، وروح المغامرة تستهويهم وتسيرهم ، ودخلوه وهم على حذر شديد، ولما حلوا بالشجرة التي ربطوا الخرقة عليها وجدوا الخرقة ما زالت على تلك الشجرة .. وكان الرفاق قد تصدقوا بالثياب الجميلة بأن تركوها عند صاحب الخان ، ولبسوا ثياب التنكر الثياب البالية لإتمام المهمة .

وهذه الثياب تترك لدى الفقراء والعامة الأثر الملائم ، فهي تدل على الضعة والفقر، ودخل ليل أو حية عرين الأسد من جديد ، وظل يمشي حتى وصل كهف صاحبه الذي تفاجأ بعودته ودخوله عليه في جنح الليل ، فقام معانقا ومرحبا والذي قال : والله وقع في نفسي أنك لن تعود بعد أن شفيت وعدت لقومك ، وظننت أنهم صرعوك .

ـ كيف لا أعود أيها الصديق؟ وابن العم لفظ أنفاسه، والشرطة تبحث عني بعد أن شكوني للملك والقاضي .. ولكن عملت على لقاء الزوجة والأولاد وودعتهم الوداع الأبدي ..وقلت لهم سأسافر إلى أقاصي الأرض ..وإذا قدرت لي النجاة عدت إليكم .. ولما نجوت من عين الرقيب أتيت إليك لأصير من رجال الجبل حتى تذهب هذه الصفحة ، وأشار إلى عنقه .

وسكت لحظات ثم قال لما رأى صاحبه ساكتا : وأثناء مسيري إليك أيها الصديق الطيب تدحرجت عن صخرة كبيرة فالتوت قدمي من أثر الوقعة .

ورفع ثوبه وأراه مكان الرضّة ، وقال الرجل وهو يتظاهر أنه رأى الورم :لا بأس عليك أيها الصديق .. في الصباح أقدمك لنائب الزعيم ..والآن علينا أن نرقد .. وسأجد لك دهنا يخفف عنك الآلام .

وأخذ ليل يكيل المدح لصاحبه كأنهما أصدقاء منذ عشرات السنين، ولما أشبع غرور نفس الصديق قال : هل رجع الزعيم من مهمته التي ذهب إليها ؟

ـ أما زلت تذكر أيها الصاحب؟.. فهم منذ خرجوا في مهمة كما أعلمنا نائب الزعيم لم يرجعوا لليوم .. فأحيانا مهماتنا يطول العهد بها .. تأخذ منا سبعا عشرا شهرا أشهرا .. عندما يقبل

مظفرا سأشجعه على قبولك رجلا منا ..أنت بعد أن تخليت عن قومك أصبحنا نحن قومك .. وعندما تشاركنا عملا ستصبح نعم الصديق .. ونعم الأخ .. وستحصل على الهبات .

فعاد ليل يثني ويمدح أخوة الرجل ومساعدته في محنته ، وأخذ يده ولثمها مظهرا شكره واستسلامه ، فانتشى الرجل وظن نفسه زعيم الجبل غصب .

وكان ليل يحتال بين رجال الجبل وغابة الأمير ، والكل ينتظر عودة الزعيم ورفاقه ، وجاء بعد حين غصب ورجاله ، ولم يكن معهم عفرا وسمر .. وكان معهم صيد كبير من مال ومجوهرات وخيول .. ولما سأله أحدهم عن ضيوفه ظهر الحزن على وجهه أو تظاهر بالحزن وقال : ركب المسكين على أحد هذه الجياد فجمح به ورماه أرضا فأصيب برأسه وكسرت ساقه ، فتركناه في (قرية ناو) يداوي نفسه ، وظل معه صاحبه الذي يزعم أنه أمير، ورجلان منا سيعودون بهم إذا شفي سمر .

نقلت هذه الأخبار لليل ، وبدوره نقلها لحلم وعمر، فطلب الأمير منه البقاء هنا ، وهما سيذهبان للقضاء عليهما ، ثم يعودون إليه إذا تحقق الظفر بهما ليعودوا

لبلادهم .. وفعلوا ذلك خشية فشلهم في قرية ناو، فيبقى ليل بينهم لمتابعة الخطة .

ومشى الصاحبان إلى البلدة التي ذكرها لهم ليل ، وبعد أيام وصلوا إليها .. فهي قرية صغيرة واستطاعوا معرفة البيت الذي ينزل فيه الأمير عفرا وسمر.. ووجدوا أن الرجال يتركون سمرا في النهار ، ويسعون لصيد الطير والحيوان للأكل .. فتسلل الأمير إلى العبد سمر .. ولما رآه سمر ظنه أحد الرجال اللذين تركهم غصب معهم فقال : مالك عدت مبكرا ؟!

ثم تبين له أنه غريب عنهم فقال بذعر: من أنت ؟! وذعر عندما شاهد الخنجر يلعب في يده وصرخ والخنجر يوضع على صدره فقال حلم : أتخاف الموت يا قاتل ؟ لا تصرخ أجلك على وشك الانتهاء أيها الرجل اللعين .. أنت الذي يغدر بالملوك يا سمر .

وغاص الخنجر في صدره ، فتحشرجت روحه وسمع قاتله يقول : أنا شقيق الملك بلبل يا سمر اللعين ..فلتمت أيها الغادر .

فصرخ مرعوبا ثانية ؛ ولكن الخنجر مزقه شر ممزق حتى خمدت أنفاسه ، واستولى الأمير على السكاكين الموجودة ، وعاد لصاحبه عمر الذي كان يقف مراقبا للمكان خشية عودة الصيادين ولما عاد عفرا بن صخر ورجلا غصب ، ووجدوا صاحبهم مقتولا شر قتلة ، صاح عفرا رعبا: لقد وصلوا إلينا !..لابد أنهم من رجال الملك البحر ..هذه طعنات منتقم ..علينا بالرحيل أيها الرجال ..إنني أرى الموت يرفرف على المكان .

ـ ألا ترغب بدفن صديقك؟!

صاح بخوف : دعوه للكلاب .. فعلينا بمغادرة المكان قبل فوات الأوان .

ـ هذا جبن أيها الأمير .. فهذا الرجل كان يعزك ويهتم بشأنك .. سنبقى هنا ونبحث عن القتلة

فصاح عفرا : هذا حمق .. الخطر حولنا .

فضحك أحدهم وقال : الخطر دائما حولنا أيها الأمير المزعوم .

فقال الأمير : أنا سأغادر الآن .. ولم يكن قد خلع سلاحه بعد .. فخرج واعتلى صهوة جواده وهو يقول لنفسه : أين أذهب؟ أأذهب إلى جبل الصوان لقضاء العمر بين اللصوص والقتلة ؟ أم إلى مكان آخر؟ .. ماذا أقول لشيخ الجبل ؟ .. فسمر صديقه هو وليس صديقي ..وبينما هو يفكر بما سيفعل .. ويمشي به الجواد خببا خببا سمع أحد الرجلين وهو يقف أمام البيت صارخا: ارجع أيها الأمير .. غدا نرحل .. لابد من دفنه .. فهو صديق الزعيم .. فلن يغفر لنا الزعيم تركه دون دفن.

فلم يرد عليهم .. وسمع أحدهم يصرخ فيه : يا رعديد .. يا جبان .. أنت نذل .. لا أدري كيف كان يرعاك الفارس سمر؟! ..ارجع لبلادك حتى لا يبطش بك الزعيم يا جبان .

سمعها الأمير وهو يرتجف خوفا ، فازداد رعبا ووهنا، وسمع الأمير حلم وعمر الحوار وهما يراقبان البيت ، فقال عمر : الأمير يهرب .

ولما دخل الأمير الغابة سمع خطواتها خلفه فظن لأول وهلة أنها رجلا الزعيم ، وكان يسمع حفيف أوراق الشجر وتطاير العصافير ..وظل يسير وهما خلفه حتى ابتعدوا عن القرية ، فسمع

أحدهم يأمره بالوقوف ـ وهو ما زال يعتقد أنهم اللصان قد غيرا رأيهما وتبعاه ـ فلما سمع الأمر بالوقوف توقف واستدار بجواده نحوهما ، ولما اقتربا منه .. قال جندب : أيها اللص ؟

استغرب مناداته بهذا الوصف وقال : ومن أنتم إذن ؟!

فقال الأمير حلم : أمير ولص .. ابن الملك صخر يعاشر اللصوص ورجال الجبل

ففطن أنهم ليسا بصاحبيه ، وأنهم من رجال الملك البحر فهمس بصوت مبحوح مرعوب: من أنتم ؟!

فقال الأمير: أنا حلم ابن الملك البحر .. أخو الملك بلبل . فصرخ وقال : يا ويلاه !! هلكت .

أمسك به عمر وأنزله عن الجواد وقال لهم متوسلا: العفو .. العفو !!

وبينما هو يردد هذه الكلمة كان خنجر الأمير يغوص في أحشائه ، ثم في صدره حتى حشرجت الروح وصعدت لباريها .. ولما هدأ الأمير رويدا رويدا ..قام عمر بقطع رأسه ، ولفه ببعض ثيابه، وغادروا الغابة ومعهم جواد الأمير الميت نحو جبل الصوان ..ولبثوا في انتظار ليل حيث الشجرة التي علقت عليها الخرقة ، وكان ليل يتردد إليها بين الحين والأخر .. ولما وصل خبر موت سمر للجبل ضج الجبل بخبر مصرعه ..فأسرع الفارس ليل إلى موعد اللقاء ، فوجد صاحبيه في انتظاره .

ولما مشوا نحو بلادهم قال ليل : لقد سعد القوم بمقتلهم ..فلما جاءه نعي سمر والأمير قال : الحمد لله ارتحنا منهم .. كانوا غصة في قلبي أيها الرجال .. كان اللعين سمرا يظنني عبد مثله وذاك الأمير يظن نفسه ما زال في قصر أبيه المقتول .. إلى الجحيم كليهما .

وكانوا يتبادلون الركوب على الجواد حتى وصلوا إحدى القرى، واشتروا من أهلها دابتين وواصلوا المسير حتى دخلوا بلاد الغراب ، ودخلوا على الملك حسن الذي فرح بعودتهم مظفرين ، وعلق رأس عفرا في وسط المدينة .. وفرح الملك البحر لما وصلته أخبار عودة الأمير حلم .. وشكر الله أنه أنجب أولادا يعتمد عليهم في المحافظة على الملك الذي ورثهم الله إياه ولما وصل حلم وصاحباه لبلاد المحبة وسمع الملك البحر بقصة فتاة مدينة قمر .. أرسل وزيره

هلالا لتلك البلاد بوفد كبير يحرسه ألف فارس .. ورحب والد الأميرة تغريد بمجيئهم ، وأحسن استقبالهم ، ولم يتردد في تزويج ابنته من ذلك الفارس المزعوم جندب .. وعمت الأفراح المدينة .. وبعد شهر أخذ القوم عروسهم وقفلوا عائدين لديارهم .. وأقيم فيها العرس.. ووزعت الهدايا وأطعم الناس الطعام ، ودامت الأفراح عدة أيام .. عرس ظلت الأجيال تذكره لعدة سنين .



لما انتهى الاحتفال بزواج الأمير حلم ، أخبر الملك البحر بأن وفدا من بلاد القمحة على رأسه الأمير يزيد بن رضوان قادمون للتهنئة بزواج ابن الملك ، ولهم رغبة في لقائه، فرحب الملك بهم واستقبلهم في ديوان الحكم وتقبل هداياهم ، وأهدى لهم ، وأنزلهم في قصر الضيافة ثم علم أن الملكة صيد ترغب في الحديث معه على انفراد ومعها ولدها يزيد، فوافق على ذلك، وأخلى الجميع المكان قال لها الملك باشا في وجهها : هل من حاجة أقضيها لك أيتها الأميرة ؟

قالت : أنا أعلم أنك شجاع ومقدام يا مولاي الملك !.. والذي صنعته قليل ما يصنعه الرجال.. وأنت رجل الوفاء وصديقنا العزيز ، ولا أعتقد أنك نسيت نشأتك في بلادنا .

ـ كيف أنسى ذلك يا أم خالد؟! .. ولم أنس للأبد حنانك وعطفك علينا .. وحسن استقبالك لنا عندما كنا نرافق الملك خالد إلى القصر .. لقد كنت أما لنا جميعا .. وإنا ـ إن شاء الله ـ من أهل الوفاء والعهد .. اطلبي مني ما شئت .. وهذا يوم وفاء وبر .

ـ إني الآن عاجزة عن شكرك يا مولاي الملك!.. والفضل لله يؤتيه من يشاء من عباده .. ولا أنسى جهدك في اعتلاء الملك خالد كرسي الحكم في بلاد أبيه .. البلاد التي بغضتها منذ طردت منها كما تعلم يا مولاي .

ـ أجل إني أعلم يا مولاتي الأميرة .

ـ ولكن ولدي خالد ما زال حسب ظني صديقك وأخوك قد ابتلي بحبها وبقومه .. فقد طلب مني التشفع عندك بأن ترفع عن بلاده الضريبة المضروبة عليهم .. فهي تنغص عيشه مع سادة قومه وعشيرته .. زارني وبكى بين يدي من أجل فعل ذلك .

خيم الصمت عليهم بعض الوقت ثم قال الملك البحر : أنا أعلمت صديقي الملك أن هذه الأموال تؤخذ للبلد عامة ، وليست لثراء الملك .. وهي تدفع أجورا للجنود الألف المقيمين في بلاده ..وأنا أقدر دخولك عليّ ..ولا أنسى المعروف الذي كان بيننا ..وبقي لنا خمس سنين لينتهي العقد بينا .. وبما أنك تشفعت لهم بذلك .. سأتكفل بدفعها لخزينة المدينة من مالي .. ولكن سنضطر لسحب جنودنا .. ولن نتدخل في شأن بلاد الماعز أيتها الأميرة.. وإن غدر هؤلاء بولدك فلن نساعده بدماء أبنائنا وأموالهم ..هل أنصفتكم ؟

قال يزيد : نحن نعلم مشقة ذلك على أهل بلاد المحبة ..ونشكر لك كرمك أيها الملك الكريم وسننقل شرطك لشقيقي الملك .

أثنت الأميرة صيد وهي تبكي عند الملك البحر ثم قالت من بين دموعها : أنا أعلم أني ربما قسوت على جندك وأبطالك بهذا العرض ..وأنا مقابل ذلك على استعداد لتزويج ابنتي أسماء لأحد أبنائك أو من تشاء من الأمراء .

ـ بارك الله فيك !..فأنت أم لي أيتها الملكة ..وسأقبل هبتك إذا وافق والد الفتاة والملك خالد أيضا .. وعليكم التشاور مع الملك خالد ..وإذا وافق على سحب جنودنا فلن نتدخل في مشاكل البلاد التي لا تنتهي .. سأتكفل أنا نفسي بدفع الأموال للبلد .. هذا هو النظام عندنا خزينة الملك غير خزينة الشعب ..وأنا أقدر شجاعتك أيتها الملكة.. وأنتم نعم الأخوة والأهل كنتم لي ولوزيرنا هلال .

واستدعى الملك وزيره هلالا الذي رحب بالأميرة من جديد ، واستمع لشفاعة الأميرة ورأي الملك البحر ، فقال الوزير الشيخ : شفاعة الملكة على الرأس والعين

ونهضت الملكة فجأة وأخذت يد الملك وقبلتها ، وفعلت ذلك مع الوزير ، وغادرت الملكة وابنها

الديوان ، وغادر الوفد بعد هذه الوساطة ، وخلال شهر أقبل وفد من بلاد الملك خالد يشكرون تسامحه معهم ، ويلغون العهد الذي قدموه للملك البحر ليساعدهم في القضاء على الملك فراس الوحش .

وبعد مجيء وفد بلاد الماعز وانصرافهم ، أرسل الملك وزيره هلالا لطلب يد الأميرة أسماء لأحد أبنائه مقدرا للأميرة رغبتها بمصاهرته ، فعادت الأفراح من جديد على قصر الحاكم ، وفرح الملك فرح يعم كل الشعب ولمحبة أهل القنفذ لمليكهم العادل ، وحضر الحفل ملوك القمحة والماعز والغراب وغيرها من الممالك التي انضوت تحت ملك الملك البحر ، وحتى والد الأميرة تغريد جاء بوفد كبير لحضور الاحتفال بزواج أحد أبناء الملك ، وغضت البلاد بالوفود والأصدقاء والذي ضاق وامتعض من هذا الزواج الشيخ الملك رضوان ، وأبدى اعتراضه في البداية، ثم وافق على مضض، ولم يحضر الاحتفال بزواج ابنته؛ ولكن لم يأبه له أحد فبعد عزله عن الملك أصبح وحيدا لاهيا بصيده وزوجاته .

وأثناء احتفال الملك البحر بزواج ولده من أسماء ، كان جيش الملك البحر يغادر بلاد الماعز إلى بلاد الغراب للالتحاق بجيش الملك حسن .. وجرى لهم هناك استقبال ليذهب ما في نفوسهم من غيظ أو حقد .

ولما انتهى حفل الزواج وأخذت الملوك تودع الملك البحر ، كان من ضمن المودعين الملك خالد .. فشكر الملك على قبوله شفاعة أمه ، وبارك له بزواج ابنه من شقيقته أسماء ..فحثه الملك البحر على العدل بين الرعية ، وأن العدل هو قاعدة الملك ..وأعلمه أن جنوده قد رحلوا لبلاد الغراب وتمنى له التوفيق والسعادة في مملكته .

ولما وصل لبلاده وجد جندا من جنده يطلبون منه العودة من حيث أتى .. فتحادث مع بعض قادة الجيش الآخرين ، فأخبروه أن الأمر خرج عن أيديهم .. فبكى الملك عندما سمع هذا الجواب ، وقال لمن معه من أولاده وحرسه : من أجل هذا كانوا يلحون عليّ بالتخلص من جند الملك البحر .

فكتب رسالة قوية لقادة التمرد بأنهم إذا لم يعودوا لمعسكراتهم وحصونهم سيهب البلاد والعباد للملك البحر ويخلع نفسه عن الملك للملك البحر.

فانقسم المتمردون لهذا التهديد إلى فريقين .. ولكن الرافضين لحكم الملك خالد أصروا على طرده واستدعاء أحد أبناء الملك فراس للحكم .

ولكن الملك دخل البلاد وأدار حوارا مع المتمردين المصرين على خلع نفسه وخروجه من البلاد والرحيل لبلاد القمحة .

فكاد الملك أن يفقد صوابه من غدر هؤلاء ، وعجب من وقوف أكثر الشعب معهم ، ويرفضون بقاءه حاكما عليهم .. وندم أشد الندم على قبول ضغطهم عليه لينسحب جنود الملك البحر .. مما اضطره للبكاء بين يدي أمه لتساعده عند الملك البحر .. ولما تحقق لهم ذلك ها هم يرفضون ملكه ؛ كأنهم هم الذي نصبوه ملكا .. فتبين له كرههم لشخصه ، وهانت عليه نفسه وضعفه ، ولما اجتمع ثانية ببعض العصاة قالوا : نحن لا نخاف الملك البحر .. وإن كان البحر يحكمهم بشخصه .. ولو عادت جنود الملك البحر سيقاتلونهم ويطرونهم من البلاد .

فاقترح أن يتنازل لأحد أبنائه عن الحكم ، فأصروا على مغادرته بلادهم إلى بلاد أمه ، وأنه خائن للبلاد ، ومتعاون مع أعداء البلد ، ومضت شهور والبلاد في فوضى واضطراب .. ولما رأى تأزم الأمور ، والقوم مصرون على تنازله عن الملك ، تنازل لهم الملك وطلب منهم السماح له بالبقاء في قصره وبينهم ، ولكن زعماء التمرد زعموا أن بقاءه سيبقي القلائل في داخل البلاد وذكروه بموقف الرافضين لحكم الملك فراس كيف استعانوا به للقضاء على الملك فراس وبعد طول جدل ورجاء غادر البلاد مطرودا فاختار بلاد القمحة .. حيث حضن أمه باكيا بدمع غزير على ما أصابه والتي شاركته الحزن والبكاء وقالت : آه يا ولدي ! .. بلاد كرهتنا منذ زمن بعيد .. قومك قوم بهت لا يرحمون .. من شيمتهم الغدر ..الحمد لله أنهم ابقوا على حياتك .. لا تأسف على شيء من هذه الدنيا ..ملك أعطاك الله إياه ثم أخذه .

كفكف دمعه وقال : إنهم قومي وأنا منهم .. يا ترى لو عشت طفولتي بينهم أكنت مثلهم ؟!

أحب الغدر ونكران الجميل .

ـ أتحب أن أعود لصديقك الملك البحر .

ـ لا يا أمي .. من أسباب نقمتهم عليّ أنهم اعتبروني نائبا له في حكمهم .. نسوا الرجال الذين مشوا إليه يترجونه لمساعدتهم وتخليصهم من الملك فراس الذي ذبح أبنائهم ورمل النساء ويتم الأطفال ..سأبقى عندكم أقضي ما تبقى لي من عمر .. أنا كرهت الملك وما سعيت له يا أمي .. كل هذا بسبب مقتل عمي الملك رياض لعمي بهاء ..سأشيد قصرا بما تبقى معي من أموال.. لم يستولوا عليها ..وأراقب الأزهار والأطيار .. وأصطاد الظباء في الوديان خير من ملك متعب للروح والبدن .. بلادكم عظيمة يا أمي منذ وعيت على هذه الدنيا لم أسمع بقتال وحروب نشبت بينكم وبين الأعداء .

ـ لقد ابتليت ونحن أطفال بمثل هذه الحروب.. أيام شباب والدي ، ثم هدأت وتصالحنا مع مدن الجوار .. وهذا من فضل ربنا على هذه البلاد ..ونحن أهلك يا ولدي ..ولن يضايقك أحد من أهل البلاد .. فها هم أخوتك لم يشعروا يوما بغربة وشكاية .. ولكن أولادك ونساؤك أيطيب لهم المكث في بلادنا والمجيء إليها ؟

ـ نحن أهل .. ومن رضي بالعيش فحيهلا يا أمي .. ومن لم يعجبه الحال فليغادر إلى حيث أتى.. فها هو والدي بقي قابعا في قصره .. ورفض الرحيل ولو قتلوه .. وهم لا يخشونه لأنهم يعرفون توتر علاقته بالملك البحر .. إنهم غاضبون عليّ لصداقتي للملك البحر ويزعمون أني نائب له مع أنهم هم الذين تفاوضوا معه للقضاء على الملك صخر وتفاوضوا معه على المال وهو اختارني ملكا لصداقتي القديمة معه ولمساعدتهم .. وهم يعيروني بحياتي هنا أيام صغري قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وبينما الملك خالد منشغل ببناء قصره قصر نهاية العمر ، جاءه الخبر المؤلم بسفك دم من أصر من أولاده وزوجاته على البقاء في بلاد أهليهم ، فقد قتل المتمردون كل من بقي من ذريته وأحفاده وزوجاته .. فاغتم كثيرا لهول الخبر، وقال لأمه : أرأيت يا أماه جنون القوم ؟! .. حتى أولادهم

الذين ولدوا في بلادهم ومن بناتهم أهلكوهم ، ولم يحتملوا بقائهم.. أي حقد هذا ؟! خشوا أن يطلبوا العرش في يوم ما .. لقد نصحت لهم بالخروج معي .. نصحت لهم ولزوجاتهم .. ولكن قالوا كما قلت قديما أهلنا يا أبتاه ..ها هم أهلنا يا أبتاه .. إنا لله وإنا إليه راجعون .

ـ عليك بالزواج من جديد ..فمن بقي من نسائك لم يعدن يلدن ..فتزوج لعلك ترزق بذرية أخرى ..وأنت بحاجة لامرأة شابة ترعاك ..تزوج الأميرة زهرة ابنة خالتك وردة فهي ما زالت أرملة منذ موت سن اللؤلؤ .

ـ ألم تتزوج بعد ؟!

ـ تزوجت ؛ ولكنها لم تطق معاشرة زوجها لكثرة نسائه وطلقت ..فسأطلبها لك فهي شابة بعد

بلاد الماعز

وصلت أخبار التمرد وطرد الملك خالد من بلاد الماعز للملك البحر، وعلم الادعاء والحجة التي اتخذها الثوار للتخلص من الملك خالد بزعمهم أنه صنيعة للملك البحر، واستاء جدا لما علم بمقتل أفراد أسرة الملك الذين لم يخرجوا مع أبيهم ابتداء والذين عادوا بعد حين .

فكتب رسالة عزاء للملك خالد ، ثم سأله أله الرغبة في العودة لبلاد الماعز ، فاعتذر له، وأنه يحب البقاء في بلاد أمه ليقضي شيخوخته وأيامه الأخيرة في مدينة القمحة ، وأنه بغض الملك والحكم .

فجهز الملك البحر جيشا لغزو بلاد الماعز ، وطلب من ولده حسن أن يرسل جيشا آخر من جهته ، ومشى الملك البحر بنفسه لغزو بلاد الماعز .

وسمع أهل الماعز بهذا الغزو ، واستعدوا لملاقاة الجيش ، ولكنهم لما سمعوا بقدوم جيش الملك حسن دب في قلوبهم الوهن ، وأخذ المتمردون الذين يحكمون البلاد يهربون ، ويتركون البلاد خوفا من الأسر والقتل .

سيطرت الجيوش الغازية على البلد بمجرد وصولها.. واجتمع بعض السادة ودخلوا على الملك البحر يسألونه عن سبب غزوهم .. فقال لهم بكل صراحة إنه جاء لينتقم لصديقه الملك خالد ومصرع أهل بيته .. وعلم كل أسماء المتمردين والقتلة لأسرة صديقه ، ووضع جوائز لمن يقتل شخصا منهم .. وشتت من تبقى من جيش المدينة إلى مدن أخرى .. وأخبرهم أن بلادهم لا يصلح أن يكون لها جيش لأنه جيش فتنة وصراعات .. وبعدما انتهت السيطرة على مقدرات البلاد .. أخذ الوزير هلال يفرق القبائل إلى مدن أخرى ..وخلال سنتين فقط .. قل عدد سكان المدينة .. فأمر الملك بدك قصورها ..ومنازلها .. وما مضت سنتان أخريان حتى أصبحت المدينة خاوية من السكان .. وحولت إليها مياه النهر ..فأغرقتها .. واختفت مدينة الماعز من الأماكن، ولم يبق إلا أشجارها ومزارعها ..فأصبحت تنتشر فيها سبخات المياه والحشرات ..وقد اختفت المنازل كلها ..ولم تعد مناسبة للحياة البشرية .. وكان الحرس يمنعون الناس من العودة إليها

بحد السيف .. ومع الزمن نسي الناس هذه المدينة التي أصبحت خاوية على عروشها بفضل خطة الوزير هلال .. واختفت صراعات أهل المدينة على الحكم والسلطان .. وتفرق أهلها بين القبائل الأخرى في بلاد أخرى .

وكان الملك خالد عندما يسمع بهذا يقول لأمه الملكة صيد : هذا أحسن حل لمثل هذه البلدة الظالم أهلها .

وكان الملك البحر الشيخ يقول لصديق عمره الوزير هلال : لنا أكثر من عشر سنوات لم نحمل سيفا ولم نغزُ بلدا .. كانت بلادا فاسدة ..أيها الوزير؟!

فرد الوزير : كان لابد من هذا الحل المؤلم .

قال الملك : لقد دنا الأجل أيـ ...

تمت بفضل الله تعالى حكاية ريح البحر



قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز ووليدها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

حكاية ريح البحر



